الجمهوية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي صالحي أحمد ـ النعامة ـ

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص: أدب حديث ومعاصر

شرح الحكم العطائية للشّيخ محمّد خلادي

(1442 هـ-2020م)

ـ بين عُبور الرؤيا وعرفانية العبارة ـ

إعداد الطالب:

نذير خلادي

إشراف الدكتورة:

أمينة بلهاشمي

السنة الجامعية: 1441ـ1442 هـ / 2020 ـ 2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة البقرة: 269.

لمن أُذن له في التّعبير، فُهمت في مَسامع الخَلق عِبارته، وجُليت إليهم إشارته.

ابن عطاء الله السكندريّ

كتاب الحكم: تقديم عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص 32.

إهـــــــــــــــداء

إلى أبي القاسم عليه الصلاة والسلام....حبّا وإيمانا

إلى والداي الكريمين....إحسانا وامتنانا

إلى الحاضر و إن غاب، إلى جدّي الحكيم....رحمة وغفرانا

إلى أسرتي الطيبة....تقديرا وعرفانا

إلى كل من عرفناهم فكانوا لنا أحبابا وإخوانا

إلى كلّ من دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

إلى كل الوجود بعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلّم.

نذير خلاّدي

شكروعرفان

ماذا أقول ؟ فَمِي يُفتّش عن فَمي * والمفردات حجارة وترابُ

أيا أحبابي ما عساي أنطق وقد تعطلت لغة الكلام، فخَاطَبكُمُ قلبي حبّا وبَكتْكُمُ عيني دمعا لعلي أحظى بحبكم والجمع بكم على قدم صدق عند مليك مقتدر، هناك حيث النعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم.

أتقدم بأتمّ معاني الشكر والتقدير إلى أهل اللغة والأدب، وإلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، بمركزنا الجامعي العامر، الذين كانوا لي عونا في مساري الدراسي، وأخص منهم أساتذتي الكرام: الدكتورة: أمينة بلهاشمي الفاضلة، والأستاذ: رافعي عبد الله الموقر، والأستاذ الدكتور: ميلود ربيعي المحترم ، دون أن أنسى تقديم الشكر إلى من كان لي بمقام هارون من أخيه موسى، الدكتور عبد الهادي بوراس: صديقي وأخي؛ و لا يفوتني أن أزفّ كل معاني الشكر إلى عرق عيني الساكن سويداء قلبي أخي الدكتور: سفيان خلادي، كما أراني مفرّطا إن لم أعبر عن معاني العرفان لمن تعلمت منهما الكثير :أخي محمد بودخيرة، وأخي سليمان رميزة:حافظ كتاب الله تعالى. أمّا التي أشكرها في البدء والختام:ليلى إيناس بوعزيز صديقتي؛ سائلا المولى أن يحشرني وجميع من ذكرت في جنات النعيم.

نذير خلاّدي

المقـــــدّمة

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسّلام على عين الرحمة الربانية، ومفتاح الأسرار النورانية، صلاة ما هّبَت الرياح، وَدَبَّت الأَشْباح، وتعاقب الغُدوّ وَالرّواح، وَصحّتِ الأَجساد والأَرواح، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا وبعد:

فقد أخذت الحكم العطائية مكانة مهمّة في التراث الأدبي عامة والنظم الصوفي على وجه الخصوص، وذلك من خلال الشروح الغزيرة التي دوّنها أولئك الذين اهتموا بخطاب الحكم التي تعد من أهم موضوعات الأدب الصوفي، لما فيها من توجيهات روحية اعتمدها أهل الطريق دستوراً تربوياً أسّس للقارئ ضوابط السعي إلى الله تبارك وتعالى، ابتداء من تزكية النفس، فتهذيب الذوق، إلى وجوب التحلّي بها، فهو متن أوجده السكندري لإصلاح الباطن وتصحيح التوجّه إلى الحضرة الربانية.

و لمّا كانت الحكم العطائية إرثاً روحياً يستدعي فهماً خاصاً يرتقي عن وعي العامة ممن لم يتذوقوا الخطاب الإشاري، كان لزاما أن تظهر فئة من الشارحين الذين دعوا إلى ضرورة إخراج متن ابن عطاء من الدائرة المغلقة، نصّ مُستغلقٍ على الفهم، إلى نص مفتوح يحدث تفاعلا بينه وبين القارئ، وذلك باستعمال آليات شارحة تسعى لتقريب المعنى إلى للمتلقي.

و ماكان لنا أن نجعل عنوان بحثنا **"شرح الحكم العطائية للشيخ محمد خلادي ـ بين عبور الرؤيا وعرفانية العبارة."** دون تتبع أهم الشروح على امتدادها الزمني، والتي أردنا دراستها دراسة تتقصى الآلية اللغوية التي انفرد بها الشيخ محمد خلادي وميّزته عن غيره من الشّارحين، ومن أهمهم: **ابن عجيبة الحسني** في شرحه الموسوم بـ **"إيقاظ الهمم في شرح الحكم"** و**محمد بن عيسى البرنسي** الفقيه المالكي المغربي ،المعروف بـ **زروق الفاسي** الذي اهتم بجانب التربية والسّلوك في شرحه الذي أسماه **"مفتاح الإفادة لذوي العقول والهمم على معاني ألفاظ كتاب الحكم"**، فضلا عن المتأخرين الذين برز منهم الشهيد العلامة **محمد سعيد رمضان البوطي.**

ويبدو من تتبعنا لهذه الشروح أنّ هؤلاء الأئمة شرحوا الحكم شرحاً يهتمّ بجانب الشريعة أكثر من اهتمامه بالحالة الروحيّة التي كان عليها ابن عطاء الله أثناء نظمه لهذه الحكم مثلما كان الحال مع الشيخ محمد خلادي الذي دقّ عظم هذه الحكَم فاستقى منها لُبّ مقاصدها، إذ يعدُّ امتداد للحكَم ذاتها.

هذا و إنّ من الأسباب الرئيسيّة التي دفعتني إلى اختيار هذاالموضوع هو ميلي إلى دراسة الأدب الصوفيّ، إضافة إلى شغفي بخطاب الحكَم العطائيّة، قصد الإجابة على تساؤلات لطالما راودتني، مفادها: ما الدافع الذي جعل الحكَم العطائية تحظى بهذا النّصيب الكبير من الدراسة والتحليل؟ هل كان من الضروري دراسة هذه الحكَم بشرحها خارج إطارها العرفاني؟ أم هو قصور في فهم الشارحين لها؟ أم أنه توجه خاص في القراءة لكل شارح منهم؟ و هل يؤدي متن الحكَم دوره في تزكية النفس دون سعي إلى تذوّقه بالوقوف على معانيه الباطنة؟

ساقتنا هذه التّساؤلات ، وغيرها ممّا لا تتسّع هذه المقدّمة لذكره، إلى تتبع آثار الحكَم العطائية وتقصّي أهم شروحها، سعيا منآ إلى بلوغ المراد من هذه الدراسة التي تدفع قارئ الحكم العطائية ـ العامّ منه والخاص (المتصوف)ـ إلى ضرورة إدراك عرفانية النص، من خلال الكشف عن الأسباب التي تساعد على ذلك، خاصة وأن الشيخ **محمد خلادي** لم يَدَعْ موضعا من الحِكَم إلا وشرحه وأقعَرَهُ، ممآ جعلنا نحاول إثبات تميز مذهبه من الشّرح، وإلى أي مدى انفرد عن غيره من الشّروح السابقة؟

كان من الواجب علينا، ونحن نبتغي إضافة نوعية إلى الدراسات الصوفية التي هُمِّشت، في رأينا، بسبب عدم تجديد الخطاب الصّوفي والاكتفاء بما أورثه الأولون تسليماً لهم وتعظيما لمنجزهم.

وبما أن بلوغ كل مرام لا يتأتى إلا بوجوب رسم خطّة تسهّل الطريق وتذلل السير ، رأينا أن نضع خطة بحثنا المتكونة من: مقدّمة و مدخل وفصلين،و خاتمة أجملنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج.

قدّمنا في المدخل عن: **الأدب الصوفي (النشأة والأغراض)** عرضا عامّاً حول مفهوم الأدب الصوفي، مع تبيان أهمّ الأجناس التي شملها هذا الضرب الأدبي توطئة منا للحديث عن الحكم العطائية باعتبارها أبرز مواضيع هذا الأدب.

أما الفصل الأول جعلنا عنوانه: **الحكم العطائية (المفهوم والشروح)**، حيث كان نظريا فقسمناه إلى ثلاثة مباحث كالآتي:

- المبحث الأول: بين يَدَيْ الشرح والحكمة، وقفنا فيه على مفهوم مَادَّتَيِّ الشرح والحكمة في المعاجم العربيّة، كما وقفنا على معناها في القرآن والسنة، فضلا عن ذكرنا لما قاله أهل العلم في الحكمة.

- المبحث الثاني: ترجمة صاحب الحكم، قدّمنا فيه تعريفا مختصرا لصاحب الحكم العطائية يتماشى وطبيعة البحث.

- المبحث الثالث: الحكم العطائية وأهمّ شروحها، حاولنا في هذا المبحث إبراز دور هذه الحكم بتعريفها وذكر خصائصها، والتركيز على دور المتلقّي وأثره في الخطاب الحكمي، مع ذكرنا لأهم الأعمال الشارحة لمتن ابن عطاء الله.

هذا و قد أتى الفصل المُوَالي، وهو محطُّ اهتمامنا الأكبر، فكان دراسة تطبيقيّة سلّطنا الضوء على أهم شروح الحكم، لنُجْلي خصائصها ونبيّن تفرّد الشيخ محمد عن غيره في شرحها للحكم، وتحقيقا لذلك كان عنوان الفصل الثاني: **الشيخ محمد خلادي (حياته وآثاره، وموقع شرح الحكم من أهم الشروح)** إذ جاءت مباحثه على النحو التّالي:

. **المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمّد خلادي**، سيرةً ذاتيةً، على اعتبار البحث أول دراسة تقف على أثر شرح الشيخ للحكم العطائية، فقدّمنا ترجمة جمعنا فيها بين جهاد الشارح أثناء الثورة ، وجهاده المعرفي والعلمي بعد الاستقلال.

. **المبحث الثاني: شرح الشيخ محمد خلادي وموقعه من شروح الحكم**، تعرّضنا في هذا المبحث لأهمّ شروح الحكم العطائية، التي وإن تباعد مدّها الزمني إلا أنها اشتركت في الخصائص باعتمادها الآلية الشارحة التفسيرية، وتركيزها على الظاهر من الحكم، وإقصاء جانب اللطائف منها.

. **المبحث الثالث: موقع الشيخ محمد خلادي من شروح الحكم العطائية**، طبّقنا في هذا المبحث موازنة بين شرح الشيخ وأهم الشّروح التي أسلفنا تفصيلها في متن المبحث الفارط، باعتماد الحكم نفسها التي عَرَضْنا لشروحها، سَعْيا منَّا لإثبات تَميُّز **"بوارق الأنوار القدسية من شرح الحكم العطائية"** عن أهمّ الشروح المتمثلة في شرح الإمام زروق، وابن عجيبة وشرح الإمام البوطي.

هذا وقد ختمنا بحثنا بخلاصة أتينا فيها على ذكر أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال عملنا للإجابة عن التّساؤلات المطروحة، فقد جاءت الشروح السابقة للحكم مركزة على إخراج حكم السكندري من الدائرة العرفانية ليصبح نصّا مفتوحا للعامة، فأتى شرح الشيخ مخالفا، حيث نظمه في قالب عرفاني خالص يدعو إلى قراءة النص من داخله فكانت نتيجته ميلاد حكم جديدة الدَّليل في ذلك وَسْمُ عمله بـ **شرح الحكم بالحكم**، ممّا يجعل القارئ يدرك ضرورة قراءة باطن النص الحِكَمي لبلوغ معانيه.

غير أنّ الوصول إلى هذه النتائج لم تكن سهلة بحكم ضرورة التحلي بالموضوعية التي تفرضها طبيعة البحث، فاعتمادنا لذلك المنهج الوصفي القائم على التحليل في رفع اللّثام عن إضافة نحسبها نوعية في حقل الدراسات الصّوفية بإضافة شرح جديد للحكم العطائية غير معهود عند من أَلِفُوا قِراءة الشُّروح السّابقة.

كانت عدّتنا في البحث جملة من المصادر والمراجع، أهمها: "من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة" لـ **(عبد الكريم شرفي)**، و "غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية"لـ **(ابن عبّاد الرندي)**،و" إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لـ **(أحمد ابن عجيبة)**، و"شرح الحكم العطائية" لـ **(زروق الفاسي)**،و"التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان" لـ **(محمد بن بريكة)**،و"الحكم العطائية شرح وتحليل" لـ **(محمد رمضان البوطي)**، و"بوارق الأنوار القدسية من شرح الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم "لـ **(محمد خلادي)**.

وفي ختام هذه المقدّمة لا أجد في خَلدي إلا قول الشاعر:

يا شَمْعةً في زوايَا الصَفّ تَأْتَلِقُ تُنيرُدَربَ المَعَالي وهْيَ تَحْترقُ
لاَ أَطفأَ اللَّهُ نُوراً أنت مَصدَرُه يا صَادقَ الفَجرِأنت الصُّبحُ والفَلَقُ

وعليه، فإني أتوجّه بالشكر الوافر إلى كل من كان عونا لنا في هذا العمل الذي ما كان أن يثمر ويؤتى حصاده لولا فضل الله علينا بدءاً وختاماً، ليعقبه فضل الوالدين الكريمين اللّذين كانا سببا في بلوغنا هذا المقام، دون أن أنسى كل من علمني حرفا وبلغني فكرة، وأخص منهم أستاذتي: الدكتورة أمينة بلهاشمي الفاضلة المحترمة وبَعْلِهَا الأستاذ الدكتور: **عبد القادر سلاَّمي** الموقّر، واللّذين كانا سببا بجدّهما وحرصهما في خروج العمل على ما انتهى إليه، كما أن الشكر موصول إلى كل عائلة خلادي الشريفة شرف الأصل و العلم ، وإلى كل أحبابي وأصحابي أبثّ شكري وامتناني.

نذير خلاّدي

تمّ بفضل الله ومنِّه إتمام هذا البحث يوم: 15 جوان 2021.

المـــــدخل

إنّ المتقصيَّ لتاريخ الأدب الصّوفي يجده قد احتلّ موقعه داخل الدراسات الإنسانية والعلوم المعرفية، بعد أن مرّ بعقبات جعلته يتخطى الحدود الإيديولوجية والأبعاد الدينية والفواصل الزمنية والمكانية، ليغدو بعدها علما يتحدى النصوص الكبرى لتقاطعه مع العديد من الثقافات البشرية لا سيما الجوانب الفلسفية والوجدانية الروحية.

تعدّدت مفاهيم الأدب الصوفي وتنوّعت بين من أخذ هذا العلم على جانبه السلوكي الدّيني وبين من أخذه على جانبه النّظري المعرفي ليكون التعريف الذي يجمع بينهما من الناحية الإبداعية أنه ذلك الكلام البليغ الصادر عن العاطفة وعن التجربة الروحية الذوقية التي يعيشها كل من نهج هذا النهج الراقي حسا ومعنى ، إذ هو مجمل العواطف والأفكار التي انصهرت بذات المحب الذي أنعم الله عليه بالعلم الظاهر والباطن فراح يضمنه قوالب أدبية إبداعية لا يستطيع الواحد منا أن يسميها أدبا فحسب وإنما هي عصارة حب وتيهان إما في الذات الإلهية وإما فناء في الذات المحمدية أو في من ورثوا نور النبوة من آل البيت الكرام والأولياء الأعلام وبمفهوم أدقّ نجد عبد المنعم خفاجي حين عرّف الأدب الصوفي قال: «للصوفيين على اختلاف طبقاتهم، وعلى مر العصور أدب إسلامي رفيع، ومجال واسع في النثر والشعر، وباع طويل في كل أغراض الأدب ، ومنزلة عالية في التجديد في معاني الأدب وأخيلته وأساليبه، إذ يحتوي الأدب الصوفي على عاطفة صادقة ، وتجربة عميقة» [1] ، وقد حفل أدبهم بروائع المناجاة والحب الإلهي ، حيث كان الصوفية يعرفون باسم القرّاء والزهاد والنساك، وكان ملحوظا فيهم أنهم من أقطاب الأدب والبيان، ومن المؤكد أنّ الجاحظ حين اهتمّ بهم لحظ فيهم شيئين: جودة الأدب وقوّة الأخلاق، ولذلك نراه في مطلع كتاب الزهد يقول: «نبدأ باسم الله وعونه بشيء من كلام النساك في الزهد، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم.» [2]

[1] محمد عبد المنعم خفاجي : الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر ، ص 73 .

[2] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ط7، 1998، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 316.

فهو يهتمّ بجودة الكلام أكثر من اهتمامه بالأخلاق، و بذلك نعرف أن للمتصوفة أدب ساهم في إثراء الساحة الفكرية والثقافية وسنعرض لأهم مواضيع الأدب الصوفي في المباحث اللاحقة

مرّ الأدب الصوفي بمراحل ساهمت في نشأته حتى اشتد عوده وأخذ مكانته المهمة في الدراسات الفكرية بعدما كان أدبيا هامشيا لا يعنى به أبدا والسبب في ذلك حسب العديد من الباحثين راجع إلى جزالة لفظ الأدب الصوفي وإسراف العديد ممن نظموا فيه في استعمال الرمز الذي يستدعي فهم الخواص دون العوامّ الذين لا يملكون ناصية اللغة ولا يحسنون فكّ معاني الرموز الصوفية، إلى جانب ذلك نجد الخفاجي يؤكد أنّ: من استنبطوا درس الأدب العربي عنوا فيه بأدب المجون ، ولم يعنوا بأدب الصوفية بل أهملوه واطرحوه، مماّ أدىّ إلى نسيان هذا التيار العظيم ، التيار الصوفي الروحي في أدبنا العربيّ، وإلى جحوده.

«ويعتقد زكيّ مبارك أنّ الأدب الصوفي أبلغ في نظمه من أدب البحتريّ وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي بعد أن نفى اعتقاد من قالوا بأن المتصوّفة اكتفوا بتصوير أحوال القلوب والأرواح وانعزلوا عن الصور الحسية ، ولو أمعن نقاد الأدب والبلاغة في أدب الصوفية لاتخذوا منه شواهد في التشبيهات والمجازات ولرأوا فيه كلمات متخيرة تصلح نماذج لإصابة المعنى والغرض»[1]

«و علاقة الأدب بالتصوّف لم تقتصر على الأدب العربي والإسلامي فحسب وإنما تعدته لما أبعد من ذلك لتبرز أهميته بشكل كبير في الأدبين الحديث والمعاصر»،[2] وبهذا نجد أنفسنا أمام أسئلة نحاول الإجابة عليها لنبرر وجودية هذا الأدب. فهل وجد الشعراء والأدباء ما يصبون إليه في التّراث الصوفي؟ وما مدى نجاح التجربة الصوفية شعرا ونثرا؟

[1] المرجع نفسه ، ص 74 .

[2] فتيحة غزالي: تجليات الصوفية في الرواية العربية المعاصرة لسلام أحمد إدريسو، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، ج محمد خيضر، بسكرة، 2017-2018 ، ص 11 .

الإجابة تستدعي التطرّق إلى نشأة الأدب الصوفي منذ بداياته الأولى إلى أن أصبح أدبا مركزيا تعتني به كبرى المؤسّسات العلميّة واللقاءات الفكريّة بعد أن كان ضعيفا لا يرقى إلى مستوى الدراسات المعرفية وذلك كله لأسباب قد أتينا على ذكرها، حيث يمكننا تتبع هذه النشأة من خلال ذكرنا لهذه المراحل التي:

أ- الشّعر الصوفي القديم:

يمكن تقسيم الأدب الصوفي إلى ثلاثة أطوار: الطّور الأول يبدأ من ظهور الإسلام وينتهي في أواسط القرن الثاني للهجرة؛ وكل ما بين أيدينا منه طائفة كبيرة من الحكم والمواعظ الدينية والأخلاق تحث على كثير من الفضائل، وتدعو إلى التسليم بأحكام الله ومقاديره، وإلى الزهد والتقشف وكثرة العبادة والورع، وعلى العموم تصور لنا عقيدة هذا العصر من البساطة والحيرة.

والطّور الثاني يبدأ من أواسط القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع وهنا يبدأ ظهور آثار التلقيح بين الجنس العربي والأجناس الأخرى، وفيه يظهر اتساع أفق التفكير اللاهوتي، وبدء العقائد تستقر في النفوس على أثر نمو علم الكلام.

«أما الطّور الثالث فيستمر حتى نهاية القرن السابع وأواسط القرن الثامن، وهو العصر الذهبي في الأدب الصوفي، غني في شعره، وفي فلسفته، شعره من أغنى ضروب الشعر وأرقاها، وهو سلس واضح وإن غمض أحيانا»، [1] حيث لم يظهر الشعر الصوفي إلا بعد شعر الزهد والوعظ الذي اشتهر فيه كثيرا **أبو العتاهية** ، و قد ظهر الشعر الصوفي كذلك بعد شعر المديح النبوي وانتشار التنسك والورع والتقوى بين صفوف العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين **كإبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، وداود الطائي، ورابعة العدوية، والفضيل بن عياض، وشقيق البلخي، وسفيان بن عيينة، ومعروف الكرخي ،وعمرو بن عبيد، والمهتدي**، ويعني هذا أن الشعر الصوفي ظهر في البداية عند كبار الزهاد والنساك، ثم أخذت معالمه تتضح في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. «ولم ينته هذا القرن حتى أصبح

[1] أحمد أمين: ظهر الإسلام، المجلد الثاني ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1969، ص 173 .

الشعر الصوفي شعرا متميزا يحمل بين طياته منهجا كاملا للتصوف، وأما الذين جاؤوا بعدهم فإنهم تميزوا بالإفاضة والتفسير.»[1]

من الواضح أنّ عبر هذه المراحل اتّخذ أدباء التصوف من الشعر وسيلة للتّعبير عما تكتنزه ذواتهم من أحاسيس ومواجيد جعلتهم ينطقون بها شعرا إما تصريحا وإما تلميحا، حيث نجد من أبرز المواضيع التي تميز بها الشعر الصوفي هو موضوع الزهد والتقشف بالإقبال على الله تعالى والفناء فيه ومن أبرز الشعراء الذين مالوا إلى الزهد وارتضوا عيش الفقر والضّنك هو جحظة البرمكي وذلك إبان العصر العباسي إذ يقول:

إني رضيت من الرحيق* بشراب تمركالعقيق
ورضيت من أكل السميـد* بأكل مسود الدقيق
ورضيت من سعة الصحـن* بمنزل ضنك وضيق

كما نجد موضوع الحب الإلهي من أبرز مواضيع الشعر الصوفي إذ برع العديد من الشعراء في تصوير عشقهم وتيههم في الذات الإلهية وكيف أنهم انقطعوا عن الدنيا وأقبلوا بأرواحهم على الله عز وجل، حيث عرفت رابعة العدوية بكونها شاعرة فلسفة الحب ؛ لأنها حصرت حياتها في حب الذات الربانية إذ تقول:

أحبك حبين: حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاكـا
فأما الذي هو حب الهوى
فشغل بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا [2]

[1] علي جميل مهنا : الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1 ،1981، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ص 173.

[2] عبد الرحمان بدوي : شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط2 ،1962 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 64.

وتتبنّى ميمونة السوداء في بعض الأبيات الشعرية نظرية الفناء في الذات الربانية على غرار رابعة العدويّة، وتشيد بالعارفين السالكين الذين يحبون الله بتجرد النّفس عن رغباتها وقمعها لشهواتها وانمحاء إرادتها والفناء في الذات الإلهية كما في هذا الأبيات الشعرية:

قلوب العارفين لها عيون
ترى ما لا يراه الناظرونا
وألسنة بأسرارتناجي
تغيب عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطيربغيرريش
إلى ملكوت رب العالمينا
فتسقيها شراب الصدق صرفا
وتشرب من كؤوس العارفينا [1]

ويعدّ الحلاج من كبار الصّوفية الذين تغنوا بالذات الربانية ، وقد استطاع أن يبرهن على وجود الله اعتمادا على **التجلي** (*) النوراني والمحبة الروحانية التي يعجز عن إدراكها أصحاب الظاهر والحس المادي:

لم يبق بيني وبين الحق اثنان
ولا دليل بآيات وبرهان
هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي
هذا توحد توحيدي وإيماني
هذا تجل بنور الحق نائره
قد أزهرت في تلاليها بسلطان
لايستدل على الباري بصنعته
وأنتم حدث ينبي عن أزمان [2]

---

[1] الحسن بن محمد النيسابوري : عقلاء المجانين، ترجمة ميمونة، ط1 ، 1987 دار النفائس، بيروت، لبنان، ص 293

(*) التجلي في اللغة الوضوح والإنكشاف وهو عند الصوفية ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، نتيجة تقوى الله وهو على مقامات مختلفة.

[2] لويس ماسينيون: ديوان الحلاج، دار سمرقند للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، سوريا ص 9.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالكتابة الصوفية ابن الفارض المصري الذي عاش ما بين القرن السادس والسابع الهجري(**576هـ- 632هـ**)، وتأثر بالتجربة الصوفية للسهروردي وكتب عدّة قصائد صوفية من أشهرها تائيته الكبرى وكافيته التي يتغزل فيها بالذات الربانية مبديا لواعجه وتشوقه إلى الحضرة الربانية كاشفا عواطفه الصادقة ولهفته لرؤية الله حيث ينشد قائلا:

ابق لي مقلة لعلي يوما
قبل موتي أرى بها من رآكا
أين مني مارمت؟ هيهات بل أيـ
ـن لعيني باللحظ لثم ثراكا
وبشيري لو جاء منك بعطف
ووجودي في قبضتي قلت هاكا
قد كفى ماجرى دما من جفون
لي قرحي! فهل جرى ما كفاكا
فانا من قلاك فيك معنى
قبل أن يعرف الهوى يهواكا [1]

ب-الشعر الصوفي الحديث:

إذا كان الكثير من المتصوفة هم الذين كتبوا الأشعار الصوفية في محبة الله وفنائه في الشعر العربي القديم، ففي العصر الحديث نجد الشعراء هم الذين دبجوا تجارب صوفية في قصائد ذاتية وجدانية كما في القصائد الرومانسية عند عبد الكريم بن ثابت في مصنفه الشعري : **"ديوان الحرية"** الذي قدم فيه الشاعر رحلات صوفية وجدانية يقوم بها الشاعر السّالك المسافر بتعراجه في السماء ، وهو في حالة سكر وانتشاء(*)، ولا يعود إلى وعيه إلا مع فترة الصحو ويقظة اللقاء والوصال.

[1] درويش الجويدي : ديوان ابن الفارض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1971، ص 20 .

(*) السُّكْر هو رمز من الرموز الصوفية التي ترمي إلى فناء العبد في ربّه وتيهانه في ذاته حد الغيبة عن العقل، سُكْرا بخمرة الحب الإلهي.

ولا بد أن نذكر شاعرا رومانسيا آخر أبدع الكثير من القصائد الصوفية ألا وهو: الشّاعر المصري محمود حسن إسماعيل كما في ديوانه الشعري: **"قاب قوسين"** الذي يقول فيه معبرا عن حالة الكشف الصوفي والتجلي الرباني:

مزقي عن وجهك اليانع، أسمال القناع
وارفعي الستر، بلا خوف على أي متاع
زادك النور، وفي دربك ينبوع الشعاع
فانفذي...فالسر إن سرت على قيد ذراع
واصرعي الموج، ولو أقبلت من غير شراع [1]

ت- الشعر الصوفي المعاصر:

قلّما نجد شاعرا عربيّا معاصرا يكتب شعر التفعيلة أو الشعر المنثور بدون أن يوظف التراث أو يشغل الكتابة الصوفية أو يستلهم الشخصيات الصوفية أو يستعمل تعابير المعرفة اللدنيّة أو يستحضر مقتبسات المتصوفة والوعاظ أو ينحو منحاهم في التخييل والتّجريد واستعمال الرموز و الاستعانة برشاقة الأسلوب وتلوين النصوص الشعرية بنفحات الدين والعرفان الباطني ، حيث نجد استعارة «الشخصيات الصوفية مثلت ظاهرة واضحة في الشعر المعاصر، وقد اختار شعراؤنا المعاصرون شخصيات عديدة من أهل التصوف واجهوا بها قارئ قصائدهم، واتخذوا منها قناعا يتحدثون به ومن ورائه عن مشاغلهم ومعاناتهم ومواقفهم. وليس ذلك فحسب، بل نجد الشاعر المعاصر أحيانا يندمج في الشخصية الصوفية ويحل فيها حلولا صوفيا. ويتحد بأبعادها بفعل تشابه أحواله بأحواله.» [2]

نجد من الشّعراء الذي وظّفوا الخطاب الصوفي نذكر: **بدر شاكر السيّاب** و **نازك الملائكة** و**عبد الوهاب البياتي** و**أدونيس** و**صلاح عبد الصبور** و**محمد الفيتوري** و**خليل حاوي** و**محمد عفيفي مطر** و**محمد محمد الشهاوي** و**أحمد الطريبق أحمد** و**محمد السرغيني** و**حسن الأمراني** و**محمد بنعمارة** و**عبد الكريم الطبال** و**أحمد بلحاج آية** و**محمد علي الرّباوي** وآخرين....

[1] محمود حسن إسماعيل: ديوان قاب قوسين، ط1 1964، دار العروبة، القاهرة، مصر، ص 10 .

[2] محمد بن عمارة: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ط1، 2001 ،شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغرب ، ص 266.

ويمتاز الشعر الصوفي المعاصر باستعمال التناصّ بكثرة فضلا عن الاستشهاد بالمستنسخات والمقتبسات والشذرات العرفانية، كما يشغل الشعراء المعاصرون في قصائدهم ودواوينهم الشعرية خطاب الانزياح الصوفي و الرموز الإحائية والعبارات الموحية الرشيقة، وهناك من الشعراء من سقط في خاصية الإبهام والغموض خاصة الشاعر الحداثي **أدونيس** الذي حوَّل كتاباته الشعرية إلى طلاسم من الصعب تفكيكها والذي يرى أن التّجربة الشعرية والتّجربة الصوفية تنبعان من المنبع نفسه ومن هذا نجده يجسد لنا أبعاد الظاهرة الصوفية في قصيدة **"الوحدة"** حيث يقول:

وُحِّد بي الكونُ فأجفانُه

تلبس أجفاني

وَحِّد بي الكون بحريتي

فَأيْنا يبتكر الثاني [1]

فأدو نيس هنا تائه في صحراء الفناء الروحي، وكأنه يحاكي التجربة الصوفية من خلال استعانته بألفاظ **كالوحدة والحرية**، وذلك دليل على توظيفه للمصطلح الصوفي الذي برزت ملامحه على العديد من قصائده.

وإذا كان أدباء التّصوف قد نظموا في الشعر بغزارة فإن النّثر كان له دور هام في الإبداع الأدبي الصوفي، حيث أنّ « الأدب الصوفي المنثور باب واسع المدى فسيح الأرجاء وهو خلاصة تعبيرية عن وحي عقول مؤمنة عابدة متبتلة منذ بدء ظهور حركة التصوف إلى اليوم» [2]، إلا أننا نجد أن النثر الصّوفي قد أُهْملَت روح الأدب التي تسري فيه «على الرغم من ظهوره المبكر في القرن الأول الهجري على شكل مواعظ وحكم ارتقت في القرن الثاني إلى فن قصصي يحاكي أخلاقيات المجتمع الذي نشأ فيه، قبل أن يتطور في القرن الثالث ليأخذ بعده الفلسفي في نصوص أدبية تَكْثُر صورُها الفنية وتتنوع أشكالها التعبيرية، للدلالة على المعاني العميقة التي

[1] أدونيس: قصائد أولى، ط ج 1988، دار الآداب، بيروت، ص70.

[2] علي الخطيب : اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، ط1 ، 1984 ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 49 .

أرادها الصوفيون ترجمة لأذواقهم الذاتية في الحب الإلهي، حتى القرن الرابع الهجري، حيث تتأثر الصوفية بعلم الكلام، خاصة النظر الفلسفي، والجدل المنطقي فلم تعد أحوال الصوفيين ومقاماتهم، وَجْداً صوفيا خالصا، بل تخلّلها التنظير والتعليل والتحليل، ما أكسب أساليبهم التواء، ومعانيهم غموضا.» [1]

إننا إذا ما بحثنا في النّثر الصّوفي على قِدَمه إلا أنّنا نجد « أنّ أهمّ الدّارسين الذين درسوا النثر العربي، مثل الدكتور زكي مبارك في كتابه **(النثر الفني في القرن الرابع الهجري)**، والدكتور شوقي ضيف في كتابه **(الفن ومذاهبه في النثر العربي)**، والدكتور عمر الدقاق في كتابه **(ملامح النثر العباسي)**، قد أحاطوا بكل أنواع النثر وأشكاله، لكنهم أهملوا النثر الصوفي.» [2]

تعددت مواضيع الأدب الصوفي المنثور كما تعدّدت مواضيع الشعر منه، حيث تنوعت مابين أغراض مألوفة وأخرى استحدثها أهل الصوفية فلم يتناولها غيرهم ولم تؤثر إلا عنهم، ومن أهمّ هذه الأغراض الأدبية في النثر الصوفي نذكر أبرزها:

* **الرثاء:** صح عن المتصوفة مراثي أثرت الساحة الأدبية لبلاغتها ولاحتوائها على معان تدل على بعد ديني أصيل، وذوق صوفي وجداني، وإلهام روحي عميق، إذ أن هناك اهتمام بالمراثي الصوفية من قبل العديد من الدارسين لقوة معانيها، وهذا ما يؤكده لنا ابن قتيبة في قوله: «...ولم تر من اهتم بها ممن جمعوا التخير في الرثاء ونظروا كيف تكون جودة المعنى وقوة السبك ومتانة الديباجة في قول ابن السماك يوم مات داوود الطائي (175 هـ 782 م) وهو رثاء فريد عرف قائله كيف يجدد خصائص من بكاه :

إن داود نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته فأعشى بصر قلبه بصر العين ، فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون ، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر ، فأنتم منه تعجبون ، وهو منكم يتعجب ،

[1] وضحى يونس : القضايا النقدية في النثر الصوفي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ص 8.

[2] المرجع نفسه: ص 9.

فلما نظر إليكم راغبين مغرورين قد ذهبت على الدنيا عقولكم ، وماتت من حبها قلوبكم ، وعشقتها أنفسكم ، وامتدت إليها أبصاركم ، استوحش منكم ، فكنت إذا نظرت إليه نظرت إلى حيّ وسط موتى .» [1]

* **أدب الزهد في الدنيا :** هذا اللون الأدبي من أهم الأغراض الأدبية في النثر الصوفي، حيث الصوفية من خلاله بأن الدنيا فانية وحثوا فيها على ضرورة التقشف لأنّ النعم لا تدوم، وهذا اللون إنما هو مقدمة للتصوف الإسلامي المستمد من الزهد والإعراض عن مفاتن الحياة والانصراف إلى الله تعالى ومثال ذلك قول ابن القيم: «ومثلت الدنيا بمنام، والعيش فيها بالحلم، والموت باليقظة، ومثلت بمزرعة، والعمل فيها بالبذر، والحصاد يوم المعاد. ومثلت بدار لها بابان: باب يدخل منه الناس وباب يخرجون منه، ومثلت بحية ناعمة الملمس، حسنة اللون، وضربتها الموت، ومثلت بطعام مسموم، لذيذ الطعم، طيب الرائحة، من تناول منه بقدر حاجته كان فيه شفاؤه، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه.»[2]

* **الحكمة:** أنتج أهل التّصوف هذا الفنّ من الفنون الأدبية إثر تجارب في الحياة، حيث جاءت الحكمة الصوفية في قالب روحي تَحُثُّ على الورع والتقوى، والفناء في عبادة المولى عزّ وجلّ، وقد ورثنا عن أهل التصوف حكما كثيرة من أشهرها حكم ابن عطاء الله السكندريّ الذي رسم فيها الطريق للسالكين والعابدين والمتصوّفين الراغبين في الآخرة، حيث بَيَّن أنه من الواجب على السائر إلى الله التسليم له في كل حال فهو المدبر لشؤون الخلق أجمعين، ومثال ذلك حكمته: « العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان. » [3]

الحكم العطائية لقيت اهتماما كبير من لدن الشّارحين وهي مدار بحثي الذي حاولت من خلاله أن أتتبَّع مواطن الجمال في بعض من حكم ابن عطاء الله السكندريّ استنادا إلى شرح **محمد خلادي** لأتقصّى الرؤية الجمالية، وإلى أيّ مدى تميّز هذا الشرح عن غيره من الشروح؟

[1] علي الخطيب : المرجع نفسه ص 52.

[2] ابن قيم الجوزية : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ص 246.

[3] أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعارف، القاهرة، مصر ص 225.

الفصل الأوّل:

(الحكم العطائية

المفهوم والشروح)

1-المبحث الأول: بين يَدَيْ الشرح والحكمة.

المتأمّل لمُصْطَلَحَيْ الشّرح والحكمة يجد لهما حضوراً كبيراً بالأدب الصوفيّ النثريّ، من خلال نظم العديد من المتصوّفة في ما يعرف بالحكمة أو في ما يعرف بعلم التزكية الروحية التي يسعى من خلالها المتصوفة إلى إعانة المريد في سيره إلى الله، كما نجد في المقابل من اهتموا بهذه الكتابات بشرحها وإخراجها من باب الإشكال والإبهام إلى وجه الظهور والتجلي، فالجمع بين هذين المصطلحين قائم على خدمة واحد منهما للآخر و التفريق بينهما متوقف على معرفة معانيهما ومراد واضعيهما منهما.

أ- الشرح لغة: يقول **"ابن منظور"** (711هـ) : « الشرح والتشريح : قطع اللّحم عن العضو قطعا، وقيل قطع اللحم على العظم قطعا، والقطعة منه شَرْحَةٌ وشَرِيحَة، تقول: شرحت الغامض إذا فسرته ومنه تشريح اللّحم، قال الرّاجز: كم قد أكلت كبدا وإنْفَحَهْ * ثمّ ادَّخَرْت أَلْيَةً مشرّحهْ، وشرح الله صدره للخير شرحا فانشرح: وسّعه لقبول الحقّ فاتّسع، وفي التنزيل: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ [1]، قال ابن الأعرابي: الشّرح الحفظ، والشرح الفتح، والشّرح البيان، والشّرح الفهم، والشّرح الاقْتِضَاضُ للأبكار، وشاهد الشّارح بمعنى الحافظ قول **الشّاعر**:

وما شاكر إلاّ عصافير قرية * يقوم إليها شارح فيطيرها.» [2]

وورد في المنجد مادة **ش رح**: « الشّرح الكشف تقول شَرَحَ الغامض أي فسّره، وبابه قطع ومنه تشريح اللّحم، والقطعة منه شريحة وكل سمين ممتدّ من اللّحم شريحة وشريح، وشرح الله صدره للإسلام فانْشَرَح، ويقال: شرح صدره بالأمر، وشرح له: حبّبه إليه.»[3]

[1] سورة الأنعام الآية 125.

[2] ابن منظور : لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، بيروت، ص 2228.

[3] لويس المعلوم: المنجد في اللغة والأعلام،ط44، 2011، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص281.

وفي التنزيل العزيز: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ [1]

ب- الشَّرح اصطلاحا: تختلف تعريفات مصطلح (الشّرح) عند أهل العلم كلّ حسب حقله المعرفي، فالشرح عند أهل الحديث «هو الكشف والتوضيح لمعاني ما أضيف إلى النبي محمد من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقيّة أو خُلقيّة»[2]، حيث ظهر ما يسمّى بعلم شرح الحديث الذي يعنى بجمع أحاديث النبي وشرحها. وبتعريف آخر هو العلم المتعلق بشرح الأحاديث النبويّة وبيان معانيها ومقاصدها وما يتعلق بها من الأحكام، مع بيان أقوال العلماء في ذلك.

أما الشَّرح عند عامة أهل الفكر وأهل الأدب خاصة فهو « بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والوضوح»[3]، وبمعنى أدق هو توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة، حيث برز ما يسمّى **بأدب الشُّروح** الذي سعى أصحابه إلى عدم الانجراف مع الأعمال الأدبية دون قراءتها أو إعمال النظر فيها وذلك من خلال شرحها وتفسيرها بمختلف الأساليب والأدوات والتقنيات، والاعتناء بها ومقاربة مادتها شرحا وتحليلا.

جـ- الحكمة لغة : "يقول ابن منظور": « حَكَمَ * الله سبحانه أحكم الحاكمين، وهو الحكيم له الحُكْم، سبحانه وتعالى، **قال الليث:** الحَكَمُ الله تعالى، الأزهريّ: الحَكَمُ والحَكِيمُ والحَاكِمُ، ومعاني هذه الأسماء متقاربة، والله أعلم بما أراد بها، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه. **الجوهريُّ:** الحُكْمُ الحِكْمَةُ من العلم، والحَكيمُ العالم وصاحب الحِكْمةِ، وقد حَكُمَ أي صار حكيما، قال **النمر ابن تولب:**

وأبغض بغيضك بغضا رويدا*إذا أنت حاولت أن تحكما

[1] سورة الشّرح: الآية 1.

[2] الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، دار الكتب العلمية 1971، بيروت، لبنان، ص

[3] توفيق أوسهلة : طرق التفسير في المعجم الوسيط، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، ج أبي بكر قايد، تلمسان، 2013-2014، ص 21.

أي إذا أنت حاولت أن تكون حكيما، والحُكْمُ: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ، ويُروى إن من الشِّعْر لحكمةً وهو بمعنى الحكم.» [1]

وجاء في القاموس المحيط: « (حَكَمَ)- بالأمر حُكْماً: قضى. يقال: حَكَم له، وحَكَم عليه، وحَكَم بينهم، (الحُكْمُ): العلم والتَفقُّه، والحكمة، ويقال: الصَّمت حُكْمٌ، (الحكم): من أسماء الله تعالى و-الحاكم، وفي التنزيل: ﴿ **أفغير الله أبتغي حكما** ﴾ [2] ومن يُختار للفصل بين المتنازعين وفي التنزيل العزيز: ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾[3] (الحكمة): معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.» [4]

ونجد في المنجد: « حَكُمَ- حِكْمَةً: صار حكيما، أَحْكَمَ*تْهُ التَّجارب: جعلته حكيما، والسّفيه أخذ على يده أو بصّره ما هو عليه، الحكمة ج حكم: الكلام الموافق الحقّ، الفلسفة، صواب الأمر وسداده، العدل، العلم، الحِلْم.» [5]

د- الحكمة اصطلاحا: ارتبط مفهوم الحكمة منذ القدم بالعلم والعدل في القضاء، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وقد ورد مصطلح الحكمة بكثرة في القرآن والسنّة، نذكر منها:

* **القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿ **ألر كتاب أحكمت آياته ثمّ فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾[6] وقال جل وعلا: ﴿ **ومن يؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾ [7] جاء في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: « يعني بذلك جل ثناؤه: يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من

[1] ابن منظور : لسان العرب، ص 951.

[2] سورة الأنعام الآية 114.

[3] سورة النساء الآية 35.

[4] مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، 2004، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، مصر، ص 190.

[5] لويس المعلوم: المنجد في اللغة والأعلام ص 146.

[6] سورة هود: الآية 1.

[7] سورة البقرة: الآية 269.

عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم، فقد أوتي خيراً كثيراً. و اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به.» [1]

• **السنة النبوية:** وقد ورد ذكر الحكمة في مواضع عديدة من الأحاديث النبوية منها: عن **ابن مسعود رضي الله عنه** قال: سمعت النَّبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فسلطه على هلكته في الحقّ، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها.» [2]

• **كلام أهل العلم في الحكمة:** وممّا جاء في اصطلاح الحكمة قول **ابن القيّم**: «وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك: أنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل.» [3]

وأبلغ التّعريفات ما قاله **ابن عاشور**: «الحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم، فلذلك قيل: نزلت الحكمة على ألسنة العرب، وعقول اليونان، وأيدي الصّينيين، وهي مشتقة من الحُكْمِ ـ وهو المنع ـ لأنّها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال، قال تعالى: ﴿ **كتاب أحكمت آياته** ﴾،...ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعدا إلى ذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلا لفهم الحقائق منقادا إلى الحق إذا لاح له، لا يصدّه عن ذلك هوى ولا عصبيّة ولا مكابرة ولا أنفة.» [4]

وبهذا فقد جمع بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي، ذلك أنّ الحكمة تعمل دورا هاما في إصلاح الناس بالمنع من الفساد، والاستمرارية فيها دلالة على صلاح المرء وحكمته.

---

[1] محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن،جزء5 ، تح محمود شاكر ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ص 576.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، ط 1، 2002، دار ابن كثير للطباعة والتشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص 31.

[3] ابن القيم : التفسير القيّم، تح محمد حامد الفقيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان، ص 227.

[4] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، ج 3، الدّار التونسية للنشر، تونس، ص 61.

ونجد أنّ أهل الأدب عرّفوا الحكمة بتعريفات عديدة تباينت بين ما هو مستنتج من تجارب معيشة وبين ما هو تعريفي فلسفي حاكى الاصطلاحات اليونانية القديمة، إذ يعرض **أحمد أمين** للحكمة قائلا: « تحديد معنى **الحكمة** من أصعب الأمور؛ شأنها في ذلك شأن الكلمات المعنوية العامة، كالحرية، والجمال، والعدل، وكل ما يستطيعه المعرف أن يذكر أهم الخصائص المميزة للكلمة. لقد عرّفها بعضهم تعريفًا تقريبيّا فقال: إنها نظرة ـ عميقة عملية مباشرة ـ إلى معاني الأشياء وأغراضها، تصدر عن ذكاء حادّ نَفَّاذٍ دقيق الملاحظة، يستمدها من تجارب الحياة، ومن مخالطته العمليّة بالحياة اليوميّة، ويسمّى الرجل ذو النظرات هذه حكيمًا، وتسمّى الكلمة المشتملة على هذه النظرة حكمة، ومن هذا قيل: **"إن من الشعر لحكمة"**، وقيل: **"الحكمة ضّالة المؤمن"**، وأحيانًا يلحظ في الحكيم أنّه يضيف إلى هذه النّظرات الصائبة العملَ على وفقها، ومن ذلك قوله تعالى :﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [1]، وسميّ لقمان حكيمًا؛ لأنه ينطق بالحكمة ويعمل بها.» [2]

2.المبحث الثاني: ترجمة صاحب الحكم.

ابن عطاء الله السكندري (658هـ/ 1260 م - 709 هـ/ 1309 م): من أعلام التصوّف الإسلامي وأحد أركان علم التّزكية، وصاحب دراية واسعة بكلام أهل الحقيقة الصوفية.

هو « **تاج الدّين أبو الفضل أحمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، أبو العباس وأبو الفضل المالكي الشاذلي.**»[3] وفد أجداده المنسوبون إلى قبيلة جذام، إلى مصر بعد الفتح الإسلامي واستوطنوا الإسكندرية حيث ولد ابن عطاء الله حوالي سنة 658هـ الموافق 1260م ونشأ كجده لوالده الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن عطاء الله، فَقيهاً يَشتغل بالعلوم الشَرعية حيث تلقي منذ صباه العلوم الدينية والشرعية واللغوية.

[1] سورة البقرة الآية 269.

[2] أحمد أمين : فيض الخاطر، ج 8، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، مصر، ص 219.

[3] عبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية، تع عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ص 7.

ترجم للسكندريّ العديد من الباحثين والمؤلفين القدماء والمحدثين، وتناول حكمه جمع من العلماء المهتمين بمجال علم التزكية الروحيّة، ولعلّ أبلغ ما نجد من تراجم لابن عطاء الله كلام نفيس لبعض من العلماء قولهم:

1. « بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الشّاذلي صحب الشّيخ أبا العبّاس المُرسي صاحِب الشّاذلي، وصنّف مناقبه ومناقب شيخه وكان المتكلّم على لسان الصوفيّة في زمانه وهو ممن قام على الشيخ تقي الدين بن تيمية فبالغ في ذلك وكان يتكلم على النّاس وله في ذلك تصانيف عديدة.» [1]

2. « قال الذهبي: كانت له جلالة عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل ورأيت الشيخ تاج الدين الفارقي لما رجع من مصر معظماً لوعظه وإشارته وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفوس ومزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم، فكثر أتباعه وكانت عليه سيما الخير، ويقال أن ثلاثة قصدوا مجلسه فقال أحدهم لو سلمت من العائلة لتجردت وقال الآخر أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرة فقال الثالث إن صلاتي ما ترضيني فكيف ترضي ربي فلما حضروا مجلسه قال في أثناء كلامه ومن الناس من يقول فأعاد كلامهم بعينه.

3. قال ابن الأهدل: الشيخ العارف بالله، شيخ الطريقين وإمام الفريقين، كان فقيهاً عالماً ينكر على الصوفية، ثم جذبته العناية فصحب شيخ الشيوخ المُرسي، وفُتح عليه على يديه وله عدّة تصانيف، منها الحكم وكلّها مشتملة على أسرار ومعارف، وحكم ولطائف، نثراً ونظماً. ومن طالع كتبه عرف فضله، وما أحسن قوله في شيخه في بعض قصائده:

كَم من قلوب قد أُمِيتت بالهوى*أحيا بها من بعد ما أحياها » [2]

[1] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مج 1، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ص 273.

[2] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج 8، تح عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ص 37.

من خلال ما تقدّم ذكره يترآى لنا جليّا مكانة ابن عطاء الله العلميّة خاصة فيما تعلّق بعلم الحقيقة أو ما يصطلح عليه بعلم التصوّف، حيث تحققّت هذه المكانة بتركه العديد من المصنّفات التي ساهمت في إثراء الساحة الفكريّة، والتي دلّ عليها وذكرها **البغداديّ** بقوله:

« من تصانيفه أصول مقدّمات الوصول، تاج العروس الحاوي إلى تهذيب النّفوس،التنوير في إسقاط التّدبير،الحكم العطائيّة على لسان أهل الطريقة،الطريق الجادّة في نيل السّعادة،لطائف المنن في مناقب الشّيخ أبي العبّاس وشيخه أبي الحسن،مختصر تهذيب المدوّنة للبوادعي في الفقه،المَرْقى إلى القدير الأعلى،مفتاح الفلاح في ذكر الكريم الفتّاح.» [1]

من بين هذه التصانيف نجد **الحكم العطائيّة** التي تعتبر أحد أبرز المؤلفات الصوفية، حيث اهتمّ بها أهل الذوق لما وجدوا فيها من معان راقية بسطوا فيها الشرح ووقفوا على بلاغة ألفاظها ومعانيها.

3.المبحث الثالث: الحكم العطائية وأهمّ شروحها.

أ.تعريف حكم ابن عطاء الله :

إنّ الباحث في ثنايا الحكم العطائيّة يجدها مشتملة على أسرار ومعارف ولطائف، جعلها السكندريّ في قالبَيْ النّثر والنظم، حيث ضمّنها لغة راقية عكست معاني روحية حسنة.

نجد صاحب كشف الظّنون حين أتى على تعريف الحكم العطائيّة قال: « هي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، ولمّا صنّفها عرضها على شيخه أبى العباس المرسي فتأمّلها وقال

[1] إسماعيل باشا البغدادي: هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 103.

له: لقد أتيت يا بُني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة، و لذلك تَعَشَّقها وفني فيها أرباب الذوق لما رَقّ لهم من معانيها وراق وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيرا.» [1]

ب ـ أقسام الحكم:

إنناّ نجد من خلال قول أبي العباس المُرسي لتلميذه ابن عطاء (لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة...) أن هذا الكُتَيِّبَ على صغر حجمه والذي سعى من خلاله السكندريّ إلى تطهير القلوب، ينقسم ـ حسب ما ذكر الإمام البوطي ـ إلى ثلاثة أقسام: «أمّا القسم الأول منها فيدور على محور التوحيد وحماية المسلم من أن يتسرب إليه شيء من المعاني الخفية الكثيرة للشرك، و أمّا القسم الثاني فيدور على محور الأخلاق وإلى تزكية النفس، و أما القسم الثالث فيدور على محور السلوك و أحكامه المختلفة.» [2]

ج ـ قيمتها التصوفية الأدبية :

وبهذا فإن كتاب الحكم يتكون من مائتان وأربع وستون **(264)** حكمة هي عبارة عن طائفة من الفقرات المختلفة بصيغة المفرد المخاطب تتنوع أساليبها كثيرا، فأحيانا تكون طويلة بعض الشيء وأحيانا قصيرة كما أن بعضها يحتوي على السّجع الذي يُحدث نغما لغويا يستحسنه القارئ ويميل إليه، وهذا ما يجعلنا نقف على قيمة هذه الحكم التي أثنى عليها الكثير من الشارحين لها حيث نُدلّل على ذلك بما ورد في أحد الشّروح قول صاحبه: « ولا شكّ أنّ للحكم العطائية قيمة تصوفية كبرى، إلى جانب قيمتها الأدبية والفنية، فهي من أعظم ما صُنّف في علم التصوّف، وهي مثل عال للفكر الصوفي النقي، الخالص من الشوائب، المتلائم مع الكتاب والسنة، المتوائم مع أقوال الصحابة وسلوكهم، وهي إلى جانب تضيء لنا صفحات مشرقة من التصوّف الإسلامي، أما قيمتها الأدبية والفنية فقد جاءت

[1] حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج 2، تع محمّد شرف الدين و رفعت الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 675.

[2] رمضان البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل، ج 1، دار الفكر، دمشق سوريا، ص 10.

على أعلى مستوى أدبي: صياغة وأسلوبا وفكرا ولغة، فهي نموذج يُحتذى به للأدب العالي الهادف المحكم الصياغة الرفيع الأسلوب، الجيد الفكرة، السامي الموضوع »[1]

وهذا ما يؤكّد لنا أنّ الخطاب الحِكَمي لم يستطع أن يحمل عليه أو ينكره أيّ أحد وإلى هذا يشير ابن عجيبة بقوله: « والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيديّ لا يسع أحد إنكاره، ولا الطّعن فيه، ولا يدع للمعتني به صفة حميدة إلاّ كساها إياها، ولا صفة ذميمة إلا أزالها عنه بإذن الله.» [2]

د. موضوعات الحكم العطائية:

إنّ المتأمّل لحكم ابن عطاء الله يجد أنه قد ضمّنها خلاصة تجربته الصّوفية المؤسسة على قاعدتين أساسيتين: الشريعة والحقيقة، حيث نجده جمع في حكمه بين محاسن هذين العلمين اللذين يحتاج إليهما المؤمن في سيره إلى الله، كما نجد أن هذه الحكم عرض لنا من خلالها مذهبه الصوفي الذي انتهجه في مجاهدته لنفسه و تربيتها إذ يؤكد ذلك صاحب غيث المواهب العلية بقوله: « أودع ابن عطاء الله حكمه خلاصة آراءه في التصوف فهي تستوعب مذهبه الصوفي بأسره، وجميع ما جاء في مصنفاته الأخرى ليس إلا شرحا وتفصيلا لما احتوته.

ومن الحكم العطائيّة ما يتناول الأحكام الشرعيّة من ناحية آثارها في قلوب المتعبّدين السّالكين، ومنها ما يعرض للمجاهدة النفسيّة، وما يتعلق بها، وما يترتب عليها من المقامات والأحوال التي هي ثمرتها.ومنها ما يدور حول المعرفة وماهيتها و أدواتها ومناهجها، وآدابها المتحققين بها، ومنها ما يتضمن آراء ميتا فيزيقية في تفسير الوجود وصلته بالله، وصلة

[1] ابن عبّاد الرُندي: غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائيّة،ط1 1988 مركز الأهرام النشر،القاهرة،مصر،ص 9.

[2] أبو الوفا الغنيمي: ابن عطاء الله وتصوفه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 88.

الإنسان بالله،ثم ما يشير إلى آداب السّلوك العامّة التي ينبغي أن يراعيها السّالك في مجاهداته ومقاماته وأحواله ومعرفته، وبعبارة أخرى في طريقه من أوله إلى آخره.» [1]

هـ. التلقّي وأثره في خطاب الحكم العطائية:

يقول ياوس: «إنّ الأدب لا يمكنه أن يصبح سيرورة تاريخية ملموسة إلا بفضل تجربة المتلقين الذين يستقبلون مختلف الأعمال الأدبية، ويستمتعون بها ويحكمون عليها وبذلك يعترفون بها أو يرفضونها.» [2] إذن: استنادا إلى هذه النظرة التّأسيسيّة للتلقي، ومن خلال الخطاب الحِكَمي الذي يستحضر المتلقي استحضار التربية الروحية والتوجيه، يحقّ لنا أن نتساءل عن سرّ استحضار القارئ لذاته وكأن ابن عطاء الله يعنيه بخطابه؟ أهي مبالغة لا فائدة منها؟ أم أنه تأسيس للدعوة ـ التزاما بالشريعة وفناء في الحقيقة ـ إلى استحضار المتلقي في الأدب الصوفي وبالتّحديد أدب الباطن؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي العودة إلى الحكم العطائية باعتبارها خطابا تربويّا يضمّ طرفين فاعلين في هذا الخطاب أولهما ابن عطاء الله السكندريّ باعتباره مرسلا ناظما، والطرف الآخر نجده في قسمين: متلقي مباشر يعدّ ممن اختار التصوف مذهبا له وأقبل على طريقة من طرقه، فتذوق ما ورد في الحكم تذوق المريد السائر إلى الله تبارك وتعالى، كما نجد متلقيا غير مباشر يتلقى الحكم بناء على تساؤلات تراوده لعلّ من أبرزها: ما هو السبيل الذي يوصلني لباب التّصوف كي أكون صوفيّا؟ هذا السؤال الذي يجد له إجابته إذا ما انبرى يقلّب الحكم العطائية التي سعى من خلالها السكندريّ إلى تذليل الطريق لكل من اشْرَأَبّت عنقه ومالت نفسه إلى طريق القوم(*)، حيث سعى صاحب الحكم

[1] المرجع نفسه ص 85.

[2] عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ص 161.

(*) أحد مرادفات علم التّصوف، الذي يراد منها طريق السلوك والتزكية الروحية.

إلى استحضار المتلقي ـ بقسميه ـ في خطابه « لتبقى الحكم عرضة لسلسلة من القراءات والتلقيات سياقات وآفاق مخصوصة،تحتكم إلى الخطاب فهْماً لتعدّد بها شرحا وتأويلا.»[1]

من خلال ما تقدّم نؤكد على مسألة أثر الحكم في المتلقي عن طريق غلبة ضمير المخاطب المفرد الذي يثبت أن المتكّلم يستحضر المتلقي في خطابه، فمن سمات هذه الحكم أنها تحتفي بالمتلقي وتهتم به، وتعبر عنه بضمير يثبت وجوده، فلا يُعقل أن يستعمل ابن عطاء الله الخطاب بالغيبة لأنه وسيلة لتجاهل القارئ بخلاف الاستناد إلى ضمير الخطاب "أنت" الذي يؤمن بالآخر ويُشعره بأنه جزء من هذا النظم، وذلك باستعمال أسلوبي الأمر والنهي، وتعزيز مبدأ التربية والنصح بتبني جملة من القواعد والضوابط الصوفية، وهذا ما عمل على تحقيقه ابن عطاء الله بالربط بين ضمير المخاطب المفرد وأسلوب الأمر والنهي لتحقيق الغاية من نظم الحكم، وما يدلّ على ذلك قوله في الحكم التالية:

ـ(ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه.)

بهذه الحكمة نجد ابن عطاء الله يبين لنا القيمة المستوحاة من المثال المعروف (دفن النبت ينتج وعدم دفنه لا ينتج)، وتكمن دلالة هذا التمثيل في «تأكيد المعنى وتشديده وقوة إثباته بإثبات دليل أو شاهد يقطع بوجوده.» [2]

ـ(أرح نفسك من التّدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك.)

ـ(إذا أردت أن تعرف قدرك عنده. فانظر فيما يقيمك.)

ونرى هنا أنّه اختار صيغة فعل الأمر ، لأنه كان حريصا على أن يمتثل المتلقي له ويستجيب لنصيحته، ممّا يعني أنه يسعى إلى حصول الامتثال والاستجابة، وهو ما تعمل على تأديته أساسا صيغة فعل الأمر.

[1] نادية خميس: الحكم العطائية قراءة في الشروح وآليات التأويل، أطروحة دكتوراه، باتنة، 2015، ص 35.

[2] محمد مشبال: في بلاغة الحجاج،دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن ص 102.

وبهذا يمكن القول أن خطاب الحكم قائم على أمر مهم وهو الدعوة إلى القيام بمكارم الأخلاق، والتحذير من مغبة الوقوع في المعاصي التي تعيق المريد في سيره إلى الله، ليتجلى لنا أن الحكمة شأنها شأن الخطاب التوجيهي تزكي ما ينفع الناس، و تحط مما يضرهم.

و- شروح الحكم:

كما سبق وأن ذكرنا أنّ للحكم مكانة عظيمة بين القرّاء الباحثين حيث لقيت اهتماما كبيرا من قبلهم شرحا وتحليلا ووقوفا على مواطن الجمال الأدبي والبلاغة اللفظية والمعنوية، حيث ذكر لنا كثير من الكاتبين بمؤلفاتهم شروحا عديدة، من بينهم الشرنوبي حين عرض للحكم وأثبت لها أكثر من شرح بقوله « وأُورِد من شروحها :

. شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرلسيّ المعروف بزروق.

. شرح محمّد بن إبراهيم بن عبّاد النفزي المرنديّ الشاذليّ المتوفى سنة **792** هـ وسماه غيث المواهب العلية.

. شرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الإقصوائي المواهبي الشاذلي الحنفيّ. ذكر أنّه شرحها بمكة المكرمّة سنة **903** هـ وسماه إحكام الحكم في شرح الحكم.

. شرح صفي الدين أبي المواهب.

. شرح محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي المتوفىّ سنة 972 هـ .

. شرح الشيخ محمّد المدعو بعبد الرؤوف المناوي المصري الشافعي، سماه الدّرر الجوهريّة.»[1]

إلى جانب شرح **ابن زرّوق** و **ابن عباد النّفري** نجد شروحا أخرى لها قيمتها بين جميع من شرح الحكم في المغرب الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري نخص منها ما جاء « على يد أصحاب الطريقة الشاذلية ولعلّ أبرزهم ابن عجيبة ت 1224 هـ.»

[1] عبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية، ص 9.

الذي يعدّ شرحه من أهم التصانيف المغربيّة للحكم و المسمّ: **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**.[1]

ظلّت حكم ابن عطاء الله ـ على مَرّ الأزمنة ـ محط اهتمام الدّارسين وقبلة الباحثين في **علم الحقيقة** (*) حيث أوجدت جمهورا أحسن الإنصات إليها منذ ظهورها إلى العصر الحديث وعصرنا المعاصر الذي لا يخلو من الشارحين الحكم ممن مالت أقلامهم إلى تبيان مواطن الجمال بالخطاب الصوفي ولعلّنا نذكر أهمّ الشروح المعاصرة ذات نظم فائق ورائع:

محمد سعيد رمضان البوطي: (الحكم العطائية شرح وتحليل) الذي يقع في خمسة أجزاء عن دار الفكر.

عاصم إبراهيم الكيالي: (اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية) عن دار الكتب العملية.

سعيد بن محمّد ديب حوّى: (مذكرات في منازل الصديقين والربانيين.) شرح فيه الحكم العطائية.

بعد ذكرنا لبعض من شروح الحكم وأهمّها و التي أبانت عن هذا النظم النفيس الذي رسم الطريق للمريدين في سيرهم إلى الله، فإننا حاولنا أن نقف بشيء من التفصيل عند الشرح المسمّ (**بوارق الأنوار القدسيّة من شرح الحكم العطائية ـ في شرح الحكم بالحكم**) للشّيخ محمد خلادي، من خلال إيضاح بعض ملامحه التصوفيّة و الأدبيّة في الفصل التالي.

[1] نادية خميس: الحكم العطائية قراءة في الشروح وآليات التأويل ص 21.

(*) مصطلح يردده المتصوفة كثيراً، ويقرنون بينه وبين مصطلح آخر لهم هو الظاهر والباطن، فالشريعة – كما يرونها – هي مجموعة الأحكام التكليفية أي ما يسمى (بالفقه الإسلامي)، والحقيقة هي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار.

الفصل الثاني:

(شرح الحكم العطائية

للشيخ محمّد خلادي

. الرؤيا والعبارة .)

1. المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمّد خلادي.

رأينا أن نفتتح هذا الفصل التطبيقي بترجمة سريعة لسيرة الشيخ **محمّد خلادي** التي نقول عنها بما ورد في مقدمة كتابه الموسوم **بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية:**

« للمؤلف سيرة ذاتية جمعت بين أصالة عريقة النسب والحسب الشريف، وبين حداثة لا تلغي الموازنة والوساطة بين أمرين.» [1]

← اسمه ونسبه:

هو محمد بن حمزة بن الصادق، بن الصادق، بن خلادي بن المبارك، بن أحمد، بن سعد الدين، بن إبراهيم، بن عبد الجبار.

يرتبط شرفه بآل البيت الكرام عليهم الرضا والتسليم، وهي قبيلة الأشراف الجبّارين بالتّحديد من ذرية مولانا العارف بالله عبد السّلام بن مشيش [*] الذي ينتهي نسبه إلى آل بيت سيدنا رسول الله عليه أزكى الصلاة والتّسليم.

← الشيخ محمد خلادي وأثروالده في نشأته:

« ولد المؤلف سنة 1925 بالأبيض سيد الشيخ حيث حفظ القرآن الكريم و الفقه في سن مبكرة حوالي السادسة من عمره، وكان لوالده العلامة الكبير المرحوم و الفقيه حمزة خلادي أكبر الأثر على صقل وتهذيب مواهبه فأبوه الشيخ والعلامة حمزة الحافظ لكتابه الكريم والفقيه البارع كان قد دَرَسَ في فجيج بالمغرب ثم فاس على يدي أكابر علمائها آنذاك ثم واصل طالبا العلم في زاوية الهامل على يدي الشيخ الفاضل العلامة سدي عبد الرحمان

[1] محمد خلادي: بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 1، 2019 ،الجزائر، ص 5.

[*] أحد أعلام الصوفية وشيخ المتصوف أبي الحسن الشاذلي، صاحب الصلاة المشيشية الشهيرة عند أهل التزكية والسلوك، مطلعها (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار..).

الديسي، ثمّ بعد إجازته من طرف المشايخ قام بتعليم القرآن والفقه، والسيرة النبوية في أماكن ترحاله الكثيرة صاحبا معه ابنه الصغير محمد حيث ذهب، وقد شاءت الأقدار أن دَرَّسَ الوالد رحمه الله جميع حفدة آل سيد الشيخ منهم أولاد سيدي حمزة بن قدور كل من سيدي سليمان بن حمزة و الشيخ بن حمزة الذي كان قائدًا بارزا إبان ثورة أولاد سيد الشيخ، و كذا سيدي بوبكر بن الدّين.

← سفره وترحُّله لطلب العلم:

وعن شخصية المؤلّف و الإبن البار فقد قام في سنّ مبكّرة بتقليد أبيه في تدريس القرآن و الفقه في مدارس قرآنية و في الزوايا وهو صاحب 14 سنة، و بعد ما تُوفِي والِده الذي طالما حضنه طويلا، عزم بعدها على أداء فريضة الحج سنة 1954 وبعد رجوعه قصدَ الأزهر الشريف طالبا مناهل العلم من مشربه حيث لبث هناك ثمانية أشهر وتمكّن من صقل موهبته الفكرية بعد أن تلقى أصول العلم على كبار علماء الأزهر آنذاك، حيث التقى بالعالم المفسّر الشيخ متولي الشّعراوي وإمام المقرئين الشيخ عبد الباسط عبد الصمد.

← نضاله العسكري إبان ثورة التحرير:

شاءت الأقدار أن يلتقي الشيخ وهو بمصر بثلّة من المناضلين الكبار من أبرزهم: الرئيس الراحل **هواري بومدين** و**عبد العاطي وزيدور عبد القادر** حيث أشبع بالروح الوطنية وبضرورة الانضمام لصفوف جيش التحرير الوطني لتخليص البلاد والعباد من غلّ الاستعمار، فلبّى النداء حيث انخرط رسميّاً في جيش التحرير الوطني في تاريخ **16 جوان 1956** بواد تاسنة بالبيض رفقة الشهيد **بوشريط** والمناضل الكبير **محمد لعماري**، والمناضل القائد **مولاي ابراهيم**، إلى أن تم القبض عليه سنة 1959م، وأخلي سبيله وبعدها أُعتقل أربع مرات كان كلما يعتقل يخلى سبيله إلى أن حوكم وقضي عليه بالسجن وقضي عليه بالسجن مدّة عشر سنوات حتى أفرج عليه في تاريخ **12 أفريل 1962**.» [1]

[1] محمد خلادي: تخميس الياقوتة للشيخ عبد القادر بن محمد بن أبي سماحة، ص 10.

← اشتغاله بالتعليم ومكانته العلمية في عصره:

« بعد وضع البندقية دخل سلك التّعليم مناضلا ضد الجهل والحرمان فكان معلما لمادة اللّغة العربية من تاريخ 23 سبتمبر 1963 إلى سنة 1984 سن التقاعد، وفي هذه الفترة أكمل تَزوُّده بفنون المطالعة والقراءة، وأخذ في البحث والاستقصاء، إلى أن استدلّ بحول الله وقوّته إلى أنّ طريق القوم هي الطريق الوحيد للوصول، طريق صدق وعلم وعرفان، لا طريق بدعة وخرافة وجهل وضلال، فاجتهد بالبحث مواصلا الليل بالنهار باحثا في أمهات الكتب ونفائسها، وخاصة شروح الحكم العطائية منها: شرح سيدي أحمد زروق، وسيدي ابن عجيبة وكتابه إيقاظ الهمم، وكتاب الأذواق النقشبندية في شرح الحكم العطائية، بالإضافة إلى شروح أخرى للعلماء المعاصرين البارزين، هذا بالإضافة إلى إلمامه بمحتويات الكتب الأخرى غير الشروح، وهي كتب التصوف المعروفة، ككتاب التعرف إلى مذهب التصوف للكلاباذي، وكتاب الرّسالة للقشيري، وكتاب الطبقات الكبرى للشعراني، وكتاب عرائس البيان في شرح القرآن لروزبهان البقلي، وكتاب الكواكب الذرية للمناوي.

فانتهى إلى شرح فريد عجيب يضاف إلى هذه الشروح القيمة، تساهم في إثراء التراث الإسلامي الصوفي، وما يميز هذا الشرح الذي بين أيدينا أنه شرح خاص، أي شرح الحكمة بالحكمة، وهو شرح فريد من نوعه لم يسبق إليه أحد على حدّ علمنا، كما أنه يستوفي مع الشرح جملا من كلام السادات الكُمَّل في شرح هذه الحكم والغوص في معانيها وهو شرح جميل المبنى، غزير المعنى يستهوي إليه القلوب وهو ما يحلو للشيخ تسميته بذوق القلوب في فهم الحكم العطائية.» [1]

← مؤلفاته:

تخميس كتاب الياقوتة للولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد بن أبي سماحة.

بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم.

[1] محمد خلادي: بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم ص 10.

الميمية العظمى في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. (*)

أنفاس أرواح التوحيد وأمدادها على الصفاء والتجريد (مؤلَّف في التصوف قيد الطبع)

← وفاته:

توفي الشيخ محمّد خلادي يوم 1 ذو الحجة 1441 هـ الموافق لـ 22 جويلية 2020م عن عمر ناهز 95 سنة تاركا وراءه تاريخا حافلا بالنضال الثوري والجهاد العلمي والمعرفي الذي أثرى من خلاله الساحة الأدبية والفكرية ـ خاصة في مجال التصوف ـ بالعديد من الأعمال التي كان أهمها شرح الحكم العطائية والتي سنكشف عنها في المباحث التالية بشيء من الدراسة والتحليل.

2 ـ المبحث الثاني: شرح الشيخ محمد خلادي وموقعه من شروح الحكم :

إن المتأمّل لشروح الحكم العطائية قديما وحديثا يجد أن من الشّارحين من اهتمّ بالجانب اللغوي للحكم فأخذ يشرح الألفاظ ويبين مدى قوتها وتأثيرها في القارئ، ومنهم من نهج المنهج التّفسيري فسلّط الضوء على جانب الشّريعة منها وأخذ يُجْلي مكانة الحكم استنادا إلى اقتباسها من القرآن والسنة، ومن الشّارحين من اعتنى بجانب تربية الباطن منها فأخذ صيغ الأمر والنهي التي تضمنتها وجرّدها من رداءها الروحي، إذن:

سنحاول من خلال هذا المبحث وما يليه أن نبرهن على ما ذكرناه بالتوطئة ولنعرف أي منهج اتبع الشيخ في شرحه للحكم العطائية؟

لتحقيق ما أسلفنا إثباته لشروح الحكم السابقة لم نجد أحسن وسيلة من عقد موازنة بين بعض من شروح الحكم العطائية اللاّمعة وبين شرح الشيخ محمد خلادي الذي يعدّ امتدادا للحكم العطائية نفسها ولا أدلّ على ذلك من تسمية الشيخ لِمُؤَلَّفِهِ "شرح الحكم بالحكم".

(*) قصيدة عظيمة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم نهج فيها نهْج الإمام البوصيري تيمنا بالبردة الغراء.

***شروح الحكم وقراءة القلب بالعقل:**

نالت الحكم العطائية حظا وافراً من الشّروح و الدراسات لما جاءت به من خطاب يُعنى بالجانب الروحي و يسعى إلى تزكية النفس البشرية، إذ نجد لها قراءات متعددة لحكم السكندريّ تلتقي في آليات شرحها وتشترك في نظرتها لنصّ الحكم المبنية على ثنائيتي **الشريعة** أو ما يصطلح عليها بعلم الظاهر الذي يستدعي عقلا مشرقا يحتكم إلى معطيات الفقه الإسلامي ترغيبا وترهيبا، والثنائية الأخرى هي **الحقيقة** أو ما يُستدلّ عليها بعلم الباطن وأداته القلب العارف والروح الفانية في الذّات الإلهية،والذي لا نقول أغفله الشارحون وإنما قرءوا جانب اللطائف منه بالمعارف وهنا نجد تشابها كبيرا بين جميع الشارحين ، الأمر الذي أحدث حالة تفسيريّة لحكم عرفانية روحية حملت خاصيتي الثنائيتين السالف ذكرهما واللتان تحملان دلالات ذات أوجه عديدة أشار إليها صاحب موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي حين عرض لازدواجيتي الشريعة ظاهرا والحقيقة باطنا وبيان ضرورة تكاملهما وذلك بقوله: « الشريعة مؤيدة بالحقيقة والحقيقة مقيدة بالشريعة، فمن وجه كل شريعة حقيقة وكل حقيقة شريعة.»[1]

إننا نستشعر ممّا قدمنا ذكره للحكم العطائية وجَمْعها بين الشريعة والحقيقة اختلاف شرح الشيخ محمد خلادي بعقدنا هذه الموازنة بينه وبين الشروح السابقة عليه.

اعتمدنا ثلاث حكم عطائية، وأوردنا لها شرح كل من ابن عجيبة وزروق والبوطي، حتى لا يقابلنا القارئ حِيال تَطرُّقه لهذه الموازنة بالتماسه تكرار الحُكْمِ الموجّه لخطاب الشّارحين، والذي هو في الحقيقة ناتج عن تقاطع الشّروح السابقة وتشاركها في النهج المبني على أساس مناقشة المتن الحِكَمي وتحليله بعقلانية تكرس مبدأ تغليب الظاهر على جانب الباطن المهمّ، الذي لا نقول أهمله الشارحون وإنّما أرادوا إخراجه من القالب الروحي العرفاني.

[1] رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ص 299.

أولا- انفتاح الرؤيا وضيق العبارة:

ظهر لنا جليا بيان هذا العنوان لما قرأنا بعض شروح الحكم وبتدقيق في العبارة لاحظنا قصورها عن أداء معنى **الإشارة** (*) التي ضُيّقت بدراسة تفسيريّة عقلانية، إذ لا ننفي العقل عن الدراسات الصوفية، لكن ما نستدل به على كلامنا ذكرنا لبعض الحكم وإيراد بعض شروحها حتى تستقيم الموازنة التي نعقدها كالتالي:

1. قال الإمام ابن عطاء الله مفتتحا حكمه: **{من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.}** [1]

أ. خطاب شرح الحكم عند زروق (846 هـ - 899 هـ):

شَرَح الشّيخ زروق الفاسي هذه الحكمة قائلا: « الاعتماد حصر القوة في الشيء، وهو باعث النفس لما تريد في تحصيل المقصود منه، وعلامة حصوله إيثار المعتمد والنظر إليه في الإقبال والإدبار، والنّاس ثلاثة: معتمد على عمله ، وموقفه التقصير ، وغايته التشمير وهذا مقامه الإسلام ،لدورانه مع العمل رجاء أو خوفا، وبساطه قوله تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد.﴾[2] وعلامته ماذكر في النص، معتمد على فضل الله، وموقفه شهود المنة من الله، وغايته التبري من الحول والقوة، ومقامه الإيمان، لدورانه مع القدرة في إقباله وإدباره، وبساطه قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون.﴾[3] وعلامة الرجوع إلى مولاه في السراء بالحمد والشكر، وفي الضراء بإظهار الفاقة والفقر.

(*) الإشارة هي تعبير لطيف عن سير المريدين والسالكين ضمن معالم الخطاب الصوفي، تؤطره روحانية المشاهدة الناتجة عن الكشف الرباني ومن ذلك قول ابن عطاء الله: (مَنْ أُذِنَ لَهُ فِي التَّعْبِيرِ: فُهِمَتْ فِي مَسَامِعِ الْخَلْقِ عباراته، وَجُلِّيَتْ إِلَيْهِمْ إِشَارَتُهُ).

[1] ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، تقديم عبد الحميد حمدان، مكتبة مدبولي،القاهرة، مصر، ص 4.

[2] سورة الحشر الآية 18.

[3] سورة النحل الآية 53.

ومعتمد على سابق القسمة وماضي الحكم، وموقفه شهود التصريف، وغايته الفناء في التوحيد ومقامه الإحسان لما شهد به حالة من المشاهدة والعيان، وبساطه قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون.﴾[1] وعلامته الاستسلام والسكوت تحت جريان الأحكام.» [2]

استند زروق بلغة سهلة وبأسلوب تأويلي إلى كتاب الله تبارك وتعالى ـ وحاول تبسيط هذه الحكمة التي جمعت صنفين من الخلق، أتقاهُم وأعرفُهم بالله عز وجل وهو الذي إذا عمل عملا شهد تصريف الله فيه وسَبْقَ حكمه وقضائه، وهذا من الذين لا يرون لأنفسهم في أعمالهم حولا ولا قوة إلا بالله، أمّا الصنف الثاني فهو الذي يرجع صالح أعماله إلى نفسه ليكون له منها حظ، وينسى حكم الله فيه وجريان قدرته في خلقه.

وبهذا فإننا نستنتج أن زرّوق و رغم كثرة الشروح التي أولاها للحكم العطائية إلا أنّه قَعَّد لقراءة تأويلية شارحة، استدل فيها من خلال شرحه للحكم على الكتاب والسنة، وعلى كلام أهل التصوف ليُبلغ مراد ابن عطاء الله في كل حكمة، وليترآى لنا جليّا تعامله مع نص الحكم تعامل المهتم بالعبارة في جانبها الحسي المبني مع الافتتان باللّفظ، وما يدلّ على ذلك حين عرض للحديث عن شرحه قوله: « فكنت أعرضه على كلام القوم، وأعرض به لمن يفهم فرارا من اللّوم، ولا أقبله إلا بوجه واضح في البيان، ومعنى قاطع في البرهان، فما صحّ لي نقلا وعقلا قبلته، وما خالف تركته وأهملته، وجعلت النادي في كل ذلك بين يدي، وقضايا الكتاب والسنة بين عيني.» [3]

وبهذا نلحظ المقصد المنشود لزروق من شرحه للحكم؛ مقصد تفسيري تعليمي غايته تقريب نص الحكم للقارئين للعامّة قبل الخاصّة، وذلك من خلال التطرّق لنصوص الحكم تحليلا ومناقشة.

---

[1] سورة الأنعام الآية 91.

[2] أحمد زروق الفاسي: شرح الحكم العطائية، تح عبد الحليم محمود، مطابع دار الشعب، القاهرة، مصر، ص 25.

[3] أحمد زروق الفاسي: قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري، تح محمود بن الشريف، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ص 44.

ب ـ خطاب شرح الحكم عند ابن عجيبة (1162 - 1224 هـ / 1748 - 1809 م):

تطرّق ابن عجيبة لهذه الحكمة بقوله: « الاعتماد على الشيء هو الاستناد عليه والركون إليه والعمل حركة الجسم أو القلب فإنْ تحرك بما يوافق الشريعة سمى طاعة وإن تحرك بما يخالف الشريعة سمي معصية.

و الأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام: عمل الشريعة وعمل الطريقة وعمل الحقيقة أو تقول: عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان.

فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده، أو تقول: الشريعة لإصلاح الظاهر، والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لإصلاح السرائر.

وإصلاح الجوارح بثلاثة أمور: بالتوبة والتقوى والاستقامة، وإصلاح القلوب بثلاثة أمور: بالإخلاص والصدق والطمأنينة، وإصلاح السرائر بثلاثة أمور:بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة»[1] وهو ما عرض له ابن عجيبة في بداية شرحه لهذه الحكم مبينا أسس الاعتماد على الله في كل شيء، وذلك بذكر ما هو مستقيم علمه عند عامة الناس وخاصتهم[(*)] وهو وجوب صفاء ذات المرء ليُوفق في العمل بتعاليم الإسلام وأداء فرائضه، ليتحقق بعدها بأداء أركان الإيمان التي تفضي به إلى معرفة الله بتوحيده، ولينتقل عقبها إلى إلى مقام عظيم وهو مقام المشاهدة والمراقبة في العبادة المتضمن معاني الإحسان أو ما يصطلح عليه عند أهل التصوف بمصطلح الحقيقة أو مقام التزكية الروحية، لُكْرَمَ ـ حسب ما جاء الحكمة ـ بعد تحقيقه لهذه المقامات الثلاث بعدم وقوعه في الزلل الناتج عن اعتماده على العمل، حيث أننا نستدل على كلامنا بما ذكره ابن عجيبة مبرّراً افتتاح شرحه لهذه الحكم بما سلف ذكره وذلك في قوله:

[1] أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تحقيق أحمد محمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 25.

[(*)] المقصود بالخاصة هنا: أهل التصوف، من المريدين وأصحاب الطريقة، خاصة مريدي الطريقة الشاذلية التي ينتمي إليها ابن عطاء الله.

«و اعلم أن الكلام هنا إنّما هو في الأعمال التي توجب تصفية الجوارح أو القلوب والأرواح وهي ما تقدم تعيينها لكل قسم.» [1]

ثم يشرع ابن عجيبة في بيان معنى هذه الحكمة بعد أن وضع أسسا لبلوغ كل سالك إلى تحقيق مراد ابن عطاء الله منها، و ذلك في قوله: « ولا يعتمد المريد في سلوك هذه المقامات على نفسه ولا على عمله ولا على حوله وقوته،وإنما يعتمد على فضل ربّه وتوفيقه وهدايته وتسديده، قال تعالى: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[2] وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾[3] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾[4]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمةٍ، واعلموا أنَّ أحب العمل إلى الله أدومُهُ وإن قلَّ) [5] » [6]

والحق أنّ ابن عجيبة لم يخرج من عباءة أحمد زروق حين نهج المنهج نفسه الذي نهجه في شرحه للحكم، وذلك من خلال اعتماد الدراسة الشّارحة والتأويلية، إذ ينشد صاحب إيقاظ الهمم في شرحه لمتن الحكم تحقيق مقصد الإفهام، وذلك باعتماد لغة تفسيرية تنزل النص من ظُلَل العرفانية،التي تستدعي فهم الذائقين الخواصّ ممن فنوا في رمز العبارة الصوفية،إلى شرح مفتوح يقصد به تذليل اللّفظ وتقريب المعنى لعامة القارئين، و ما تعلق منه بعلم الظاهر أو باطنه.

---

[1] أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص 26.

[2] سورة القصص الآية 68.

[3] سورة الأنعام الآية 112.

[4] سورة هود الآية 118.

[5] مسلم: صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ص 2818

[6] أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص 27.

وهو ما يؤكدّ كثرة توظيف ابن عجيبة الشواهد القرآنية والسنية في هذه الدراسة الشّارحة لحكم ابن عطاء الله،واستحضار كلام أهل العلم،واعتماد القصائد الشعريّة الصوفية، حيث يعدّ الإتيان بهذه الشّواهد من الملامح الجليّة في منهج التفسير والتأويل، خاصة وأنّ الخطاب الحِكَمي خطاب رمزي تلميحي يستدعي مقابلته بالشواهد، خاصّة ما يدركه العامة ويحفظونه، وهذا كله في الأخير لتقريب المعنى للقارئ.

ج ـ خطاب شرح الحكم عند البوطي (1347 - 1434 هـ/ 1929 - 2013 م):

افتتح البوطي شرحه لهذه الحكمة بسؤال حاول الإجابة عنه بقوله:«الاعتماد على العمل أهو في الشريعة أمر محمود أم مذموم؟ يقول لنا ابن عطاء الله: إياك أن تعتمد في رضا الله عنك وفي الجزاء الذي وعدك به على عمل قد فعلته ووفقت له، كالصلاة، كالصوم، كالصدقات، والمبرَّات المختلفة، بل اعتمدْ في ذلك على لطف الله وفضله وكرمه.

هل هنالك من دليل على هذا؟ نعم، إنه حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم -الذي رواه البخاري وغيره: (**لن يُدخِلَ أحدكم الجنة عملُه"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**).إذن،فالعمل ليس ثمنًا لدخول الجنة، وإذا كان الأمر كذلك فالمطلوب إذا وفقت لأداء الطاعات أن تطمع برضا الله وثوابه، أملاً منك بفضله وعفوه وكرمه، لا أجراً على ذات العمل الذي وفقت إليه.وهنا يقول: ومن أبرز الدّلائل على اعتمادك على العمل لا على فضل الله، نقصان رجائك بعفوه تعالى عند تلبسك بالزلل، أي عندما تتورط في المعاصي والموبقات.إن هذا يعني أنك عندما كنت ترجو كرم الله وعطاءه إنما كنت تعتمد في ذلك على عملك، فلما قلَّ العمل وكثرت الذنوب غاب الرجاء!.. فهذا هو المقياس الدال على أنك إنما تعتمد في رجائك على عملك لا على فضل الله سبحانه وتعالى وكرمه. هذا هو باختصار معنى حكمة ابن عطاء الله رحمه الله.»[1]

[1] محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل ، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا،ج 1، ص 22.

يفتتح الإمام البوطي شرحه لهذه الحكمة مستندا إلى الطريقة التفاعلية عن طريق اعتماد أسلوب التساؤل الذي يجعل القارئ يستحضر ذاته بتفاعله مع المرسل وكأنه جزء من خطاب الشرح، كما نجد ابن عطاء الله قد عمد إلى بيان جانب الحقيقة العرفانية الموجودة في هذه الحكمة وتفسيرها استنادا إلى ما ورد في القرآن والسنة، ثم نجده يرجع بعد ذلك ليرفع اللّبس عما تَبَّطن في هذه الحكمة بذكر ظاهر الشواهد المدركة عند عامّة النّاس وذلك بقوله:

« قد يقول قائل: بل الظاهر أن الثواب الذي نستحقه إنما هو على العمل الصالح الذي عملناه، ولكننا لو تأملنا وأمعنا النظر ، في علاقة مابين العبد وربه، لأدركنا أن الأمر ليس كذلك. ما معنى قولك: إن الله إنّما يُثيبني بعملي وإنما يدخلني الجنة بعملي..؟ معنى هذا الكلام أن الله عز وجل رصد قيمة للجنة، لا تتمثّل في دراهم أو في سيولة مالية، وإنّما تتمثّل في العبادات والطاعات الابتعاد عن المحرمات، فإن فعلت الطاعات واجتنبت النواهي، فقد بذلت الثمن، ومن ثم فقد أصبحت مستحقاً للبضاعة التي اشتريتها ! عندما تقول: إنما أثاب بالعمل الذي قدمتُه، فهذا هو معنى كلامك.. فهل الأمر هكذا في حقيقته؟ أي هل إنك عندما تؤدي الأوامر التي طلبها الله عز وجل منك تصبح مستحقاً للجنة ومالكاً لها بعرق جبينك، تماماً كما يستحق الذي اشترى بضع دونمات من أرض، بقيمة محددة دفعها لصاحبها الذي عرضها للبيع؟!. لو تأملتَ لرأيتَ أنّ الأمر يختلف اختلافاً كبيرا، أنا عندما أدفع قيمة هذا البستان نقداً كما طلب البائع فأنا أمتلك بذلك هذا البستان بدون أي مِنَّةٍ له عليّ، وبطريقة آليّة يقضي بها القانون، ومن حقي أن أقول له: اخرج من أرضي فقد دفعت لك قيمتها كاملة غير منقوصة، ذلك هو شأن علاقة العبد مع العبد، أما عندما يأمرك الله سبحانه وتعالى بالطاعات التي ألزمك بها، وينهاك عن المحرمات التي حذرك منها، ويوفقك الله فتؤدي الواجبات وتبتعد عن المحرمات، وصدق الله القائل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمانِ.﴾[1]

[1] سورة الحجرات: الآية 17.

إذن: هنالك فرق كبير بين الصورتين، من الذي حبّب إليك الإيمان وكرّه إليك الكفر والفسوق والعصيان؟ هو الله سبحانه وتعالى، إذن فما يخيل إليك، من أن الطّاعة إنما هي ثمن دفعته من ملكك، مقابل امتلاكك لجنة الله تعالى» [1]

صاغ البوطي شرحه صياغة إنشائية إملائية على شاكلة من تقدّمه من ذوي القراءة الشارحة التفسيرية للخطاب الحِكَمي، لكن ما يستوقف القارئ تصريح الشارح في مقدمة عمله هو أنّ البوطي، وإن كان لم يَحِدْ عن نهج الشارحين الأوائل، إلا أنه جرّد متن الحكم من بعض عرفانيته وسلب منه بعض روحانيته بحجّة محاربة انغلاق الفهم، بالإضافة إلى أنّه رأى ضرورة إخراج الحكم من رداء التصوّف ليحقق،حسب رأيه ،شرطي: الفهم السريع، وعدم نفور من ليسوا على مذهب التصوّف من نص الحكم وذلك حين قال: «سيقول بعض الناس: إنّ العكوف على دراسة هذه الحكم إنما هو انصراف إلى (التصوف). والتّصوف شيء طارئ على الإسلام متسرب إليه، فهو من البدع التي حذر منها رسول الله إذ قال: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة.الجواب: أمّا الأسماء والمصطلحات فلا شأن لنا بها ولا نتعامل معها، وها أنا منذ الآن سأبعد كلمة (التصوف) هذه، من قاموس تعابيري وكلماتي، مع العلم بأن الأسماء والكلمات ليست هي التي توصف بأنها الإسلام أو هي البدع الطارئة عليه، وإنما الذي يوصف بهذا أو ذاك، مسميات الأسماء ومضامينها والمعاني التي جاءت الأسماء والمصطلحات معبراً عنها وخادماً لها.. فالمصطلحات والأسماء ليست هي المعنيّ بقول رسول الله : «محدثات الأمور»وإنما المعنيّ بها المعاني والمسميات التي تتمثل في معتقدات زائغة أو سلوكات باطلة، ولكني على الرغم من هذا لن أتعامل مع الأسماء والمصطلحات الحديثة التي تثير حساسية بعض الناس الذين يتعاملون مع الأسماء والمصطلحات والشعارات أكثر مما يقفون على جوهر المعاني والمسميات. ولذا فلسوف أحاول أن أشطب كلمة(التصوف) هذه من ذاكرتي، فإن لم أستطع إلى ذلك سبيلاً، فلا أَقَلَّ من أن أبعدها عن قاموس تعابيري خلال رحلتي هذه كلها في خدمة حكم ابن عطاء الله وتجلية

[1] محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل،ص 23 و 24.

معانيها.»[1]

إنّنا وعقب ما برّر له الإمام البوطي ،وهو ينزع عن الحكم غطاءها الصّوفي، نرى أنه لم يُجانب الصّواب،خاصّة وأن مراده من شرح الحكم دفع انغلاق الفهم عمّن رام تدبّر الحكم العطائية، ورامَ قراءة معاصرة جديدة للخطاب الحكمي، لكنه بتعامله هذا وكأنه يثبت أن الناس حديثي عهد بالنص الصوفي أو قل التراث الروحي الرمزي، لكن الحقيقة عكس ذلك، حيث أن التحامل على النصوص الصوفية واستنكارها ليس بالمحدثة المبتدعة وإنما نجد ذلك كان قائما قديما منذ ظهور هذه النصوص، وبروز التصوف وأصحابه الذين اختلف فيهم الناس قديما ولعلنا نجد الإجابة في قول أحدهم:

تنازَعَ النّاس في الصُّوفيّ واختلفوا* قِدْماً وظَنُّوه مُشتَقا مِنَ الصّوف

ولستُ أمنحُ هذا الاسمَ غيْرَفَتىً* صافى فصُوفِيَ حتَّى لُقِّب الصُّوفي [2]

وبهذا فإنّ الإمام البوطي قد أتم نهج من تقدموه في شرحه للحكم، لكن بلمسة معاصرة فتحت عوالم تجريبيّة جديدة أولت للظّاهر عناية كبيرة، وأغفلت ـ والتي لم نر بُدّاً من إغفالها ـ المقصد العرفاني الذي أراده ابن عطاء الله وهو ينسج هذه الحكم التي يسعى في معناها ـ دون مبناها ـ إلى نقاء باطن المخلوق الذي يفضي به إلى رضاء الخالق.

2. قال ابن عطاء الله السكندريّ: **{اجتهادك فيما ضُمن لك، وتقصيرك فيما طُلب منك دليل على انطماس البصيرة منك.}** [3]

[1] المرجع نفسه ص 10 و 11.

[2] أبو الفتح البستي: الديوان، تحقيق سرية الخطيب و لطفي الصقال، مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا،1989، ص 134.

[3] ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، تقديم عبد الحميد حمدان، مكتبة مدبولي،القاهرة، مصر، ص 4.

أ. خطاب شرح عند زروق:

قال الشيخ في شرحه لهذه الحكمة: « قلت : لأنَّك أَتيت بالشَّيء على غَيْرِ وَجهه ، ووضَعْته غيْر محلّه، إذ عَكَسْتَ ما حَقكَ أن لا تَعْكِسه، فَتَرَكْت ما أُمرت بالقِيامِ بِه ، وقُمت بما كُفيت أمره وهو مَضْمُون.

قال في التنوير: فكيف يَثْبت لَك عَقْل أو بَصِيرة، واهتمامُك فيما ضُمن لك اقْتَطَعَكَ عن اهتمامك فيما طُلِبَ منك؟ حتّى قال بعضهم :إنَّ الله ضَمن لنا الدُّنيا و طلب منَّا الآخرة، فَلَيْتَهُ ضمن لنا الآخرة و طلب منَّا الدُّنيا. انتهى.

و عبَّر بالاجتهاد لأنَّ الطلب دونه لا يُقدح أي لا يُذمّ ، بل ربما كان مطلوبا وبالضمان لِيُشْعِرَ بسَبْقِ القِسْمَةِ، و بالتقصير لأن الترك أعظم، وبالطلب ليَشْمل الواجب والمندوب. ولو كان بَدَل الاجتهادِ استغراقا، وبَدَل التقصيرِ تَركا لكان بَدّل الطّمس عَمى لأن الدنيا كنهر طالوت، لا ينجو منه شارب إلا من اغْتَرَف غَرْفة بيده ! و البصيرةُ: ناظِرُ القلبِ كما أن البصرَ ناظرُ العَين.» [1]

يزيدنا شرح هذه الحكمة إثباتا أن زروقاً ظل مهتما .رغم كثرة شروحه .بتبيين ملامح نص الحكم سعيا منه إلى الكشف عن المعاني المدفونة فيه، حيث حافظ على نفس الوسيلة التي يراها نافعة، ألا وهي محاولة مقاربة النّص استعانة منه بإيراد الشواهد التي اجتهد من خلالها إلى محاكاة النّص ليقدمه بعد ذلك بلغة سهلة .وفق نظره .تكشف عن خباياه ليفهمه كلُّ من توجّه إليه، ولتحقيق مقصد تفاعل القارئ (العام) مع هذا النص، الذي نؤكد أنه نص عرفاني نظمه ابن عطاء الله لخاصة الذائقين العارفين وبالتالي:

وإن كان مقصد زروق وغيره من الشارحين تقريب المعنى إلا أنه أفقد نص الحكم تلكم العرفانية التي رامها ابن عطاء الله.

[1] أحمد زروق الفاسي: شرح الحكم العطائية ص 29.

ب ـ خطاب الشرح عند ابن عجيبة:

قال ابن عجيبة في شرحه لهذه الحكمة: « الاجتهاد في الشيء: استفراغ الجهد والطاقة في طلبه، والتقصير: هو التفريط والتضييع، والبصيرة ناظر القلب، كما أن البصر ناظر القالب، فالبصيرة لا ترى إلا المعاني، والبصر لا يرى إلا المحسوسات، أو تقول: البصيرة لا ترى إلا اللطيف، والبصر لا يرى إلا الكثيف. أو تقول البصيرة لا ترى إلا القديم، والبصر لا يرى إلا الحادث. أو تقول البصيرة لا ترى إلا المكون، والبصر لا يرى إلا الكون، فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله في الظاهر بخدمته، وفي الباطن بمحبته فكلما عظمت المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوى نور البصيرة من المعاني اللطيفة والأنوار القديمة، وهذا معنى قول شيخنا المجذوب:

غيّبتُ نظري في نَظَرْ* وأُفْنِيتُ عن كل فاني

حققت ما وجدت غِيَرْ*وأمسيت في الحَال هاني

وإذا أراد الله خذلان عبده أشغله في الظاهر بخدمة الأكوان، وفي الباطن بمحبتها، فلا يزال كذلك حتى يطمس نور بصيرته، فسيتولى نور بصره على نور بصيرته، فلا يرى إلا الحس، ولا يخدم إلا الحس، فيجتهد في طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم.» [1]

نكاد نجزم أن ابن عجيبة لم يستطع أن يتنصّل من عرفانية هذه الحكمة وهو يشرحها، وهذا ما يجعلنا نؤكد أنه وهو يسعى إلى تقريب المعنى المنغلق عن عامة الناس، فقد أكّد أن نص الحكم لا يمكن أن يُقيّد بآلية شارحة مجرّدة تُخرجه من الإطار الروحاني، ودليلنا في ذلك، لاحظنا ونحن نقرأ شرح ابن عجيبة لهذه الحكمة التي ـ إن صح الحكم ـ هي ميلاد جديد لها وذلك باستعماله ألفاظا تُغلق الفهم عن العامة، الذين سعى تقريبها لهم، حيث ندلّل على كلامنا برجوعنا إلى شرحه:

[1] أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص 39.

فالبصيرة لا ترى إلاّ **المعاني**، والبصر لا يرى إلاّ **المحسوسات**، أو تقول: البصيرة لا ترى إلا **اللطيف**، والبصر لا يرى إلاّ **الكثيف**. أو تقول البصيرة لا ترى إلاّ **القديم**، والبصر لا يرى إلا **الحادث**. أو تقول البصيرة لا ترى إلاّ **المكون**، والبصر لا يرى إلا **الكون** ، فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله في **الظاهر** بخدمته، وفي **الباطن** بمحبته فكلما عظمت المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوى نور البصيرة من **المعاني اللطيفة والأنوار القديمة**. وهذا معنى قول شيخنا المجذوب:

غيّبتُ نظري في نَظَرْ* وأُفْنيتُ عن كل فاني

حقَّقْت ما وجدت غيَرْ*وأمسيت في الحَال هاني

فَلْنَستحضر مراد ابن عجيبة في شرحه للحكم الذي يقضي بتقريب اللّفظ ومحاربة انغلاق فهم المعنى، وَلْنَحكم بذلك ونحن نقرأ شرح هذه الحكمة، ونحن ممن انغلق عنهم الفهم وهم يقرؤون حكم السكندريّ، إذن: فما لمقصود بالألفاظ التي جعلناها تحت سطر أعلاه؟ ومالدلالة السياقية لها؟ (*)

باختصار، هي ألفاظ تجاوزت مراد الشارح، ولتبقى الإجابة قائمة بإعادة إثبات حُكمنا أنّ الشّيخ ابن عجيبة وإن حاول قراءة الحكم العطائية وشرح جانب اللّطائف منها بالمعارف العقليّة المحسوسة فإنه جردها من عرفانيتها.

(*) لا تهمنا الإجابة عن السؤال لكشف معاني الألفاظ التي جعلناها تحت سطر، بقدر ما يهمنا صرف نظر القارئ إلى أن هذه الألفاظ الخاصة أغلقت فهم القارئ وخيبت توقعه بعدما سعى ابن عجيبة إلى تقريبه له.

ج ـ خطاب الشرح عند البوطي:

افتتح البوطي شرحه لهذه الحكمة بآيتين من الذكر الحكيم بَيّن أنّهما قد اقتضتا وظائف ومسؤوليات ابتغاها الخالق سبحانه من المخلوق، وهذا كله تمهيدا من البوطي في شرحه لهذه الحكمة، حيث يقول: « يقول الله عز وجل: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾

ويقول عز وجل: ﴿وآمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[1]

أقام الله الإنسان على وظيفة يؤديها لذاته العلية وهي أن يمارس عبوديته لله تعالى عن اختيار وقناعة، وأقام الله عز وجل ذاته العلية على وظيفة يؤديها تجاه الإنسان، يضمن له بها مقومات حياته ورغد عيشه (أي طلب منه العبادة وضمن له الرزق). فما الذي تقتضيه هذه القسمة من المسؤوليات؟

مقتضى هذه القسمة أن ينصرف الإنسان المؤمن بالله طبعا الى الوظيفة التي عهدت إليه وكلف بها، مقابل التزام الله عز وجل بما قد تعهد له به من توفير مقومات العيش له وتسخير المكونات التي حوله لمصالحه ورغائبه.

لكن النّاس يجتهدون ويجدون ويرهقون أنفسهم فيما قد ضمنه الله لهم ويعرضون عن الوظيفة التي طلبها الله في مقابل ذلك منهم، وهذا دليل كما قال ابن عطاء الله على انطماس البصيرة من هؤلاء الناس، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدلّ على عدم الثقة بوعد الله وما قد ضمنه الله للإنسان كما يدل على الرعونة النفسية التي تهيمن على كيانه وتفكيره.» [2]

[1] سورة طه: الآية 132.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل ص 83 و 84.

والحقّ أنه ليس هناك حكم جديد في استخلاصنا هذا عقب ذكرنا لشرح البوطي لهذه الحكمة، فهذا الأخير أبقى على منهج الدراسة الشارحة لهذه الحكم التي نلمس عنايته وكَلَفه بإيصال معانيها لغير المتصوف على وجه الخصوص، وهذا ما جعله يُحَمّل الألفاظ الظاهرة المدركة عند العوامّ عِبْءَ المعاني العرفانية المبطنّة التي سعى وإلى حدّ بعيد إلغائها ـ وفق تصريحه ـ من قاموس تعابيره وهو يشرح هذه الحكم.

3. قال الإمام ابن عطاء الله السكندريّ: **{ ليُنْفِقْ ذو سَعة من سعته: الواصلون إليه، ومن قدرعليه رزقه: السّائرون إليه.}**

أ. خطاب الشرح عند زروق: تطرّق الشيخ زروق لهذه الحكمة بقوله: « قلت: العارفون وسعت عليهم أرزاق العلوم والمعارف فأنفقوا على مقدار ما وصل إليهم إذا استدلوا به، وذلك حكم وقتهم، والسالكون ضيقت عليهم أرزاق العلوم فأنفقوا على ما عندهم، ولذلك استدلوا عليه وذلك حكمهم، إذ لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها، وفضل الله مرجو للجميع ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[1]، وإنما صح توقيع الآية في الواصل والسائر لاحتمالها ما هو أعمّ، ثم ذلك لا يرفع حكم الأصل الذي هو كونها في نفقات الزوجات ولا يدفعه، بل يؤكده لدخوله في النفقة الواقعة على ما هو أعمّ من المال والله أعلم.» [2]

لا غرو في تعامل زروق مع هذه الحكمة على هذه الشاكلة، مادام هذا التعامل يفضي بنا ـ دائما ـ إلى المقصد الذي أراده زروق ـ بالرغم من كثرة الشروح ـ والمتمثل في تقريب هذه الحكمة التي حملت قسمي: الواصل والعارف، إذ نجد الفاسي جعل شرحه على قسمين لاحتواء الحكمة على قسمين كذلك، وذلك من خلال:

1/ تقريب المعنى للسالكين المريدين ببيان معنى الواصل و السالك وإبراز ما تقتضيه منهما الضوابط السلوكية في ذلك.

---

[1] سورة الطلاق الآية 7.

[2] أحمد زروق الفاسي: شرح الحكم العطائية ص 61.

2/ محاولة الاستدراك بإجلاء معنى الحكمة لغير السالك، وهو القارئ اللامتصوف، وذلك بتبرير استعمال ابن عطاء الله لهذه الآية، وجَعْل مرادها في مراده.

لا شكّ أن زروق في تعامله مع هذه الحكمة على هذا النّحو ، أنّه قد حاول وضع حكمة موازية لها من خلال الشرح الذي يناقض نيّة التحليل والمناقشة ،بل و يهضم حق العوامّ من الفهم والذين جعلهم في خانة الوعظ والتذكير وذلك حين عرض أقسام المتلقين لهذا الشرح بالمقدّمة ، وما يثبت ذلك كله هو إثقال كاهل اللفظ البسيط بسلخه من العرفان المعنوي.

ب. خطاب الشرح عند ابن عجيبة:

السعة :هي الغنى وقدر عليه : ضيق عليه، قلت : أما الواصلون إليه فلأنهم لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان إلى فضاء الشهود والعيان، أو تقول : لمَّا عرجت أرواحهم من عالم الأشباح [*] إلى عالم الأرواح، أو من عالم الملك إلى عالم الملكوت اتّسعت عليها دائرة أرزاق العلوم ، وفتحت لها مخازن الفُهوم، فأنفقوا من سعة غناهم جواهر العلم المكنون، ومن مخازن كنوزهم يواقيت السر المصون، فاتسع لهم ميدان المجال وركبوا أجياد البلاغة وفصاحة المقال، فما أسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية، وما أعظم فتح من لحظته منهم الرعاية، إن للّه رجالا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وهم أهل السر والحال، وأما السّائرون إلى اللّه فلأنهم باقون في ضيق الأكوان، وفي عالم الأشباح مسجونون في سجن الوهم لم يفتح لهم شيء من مخازن الفهم، مشغولون بجهاد نفوسهم ومعاناة تصفية قلوبهم مضيق عليهم في العلوم ومقتر عليهم في سائر الفهوم ، فإن جدّوا في السير وصلوا، وانتقلوا من ضيق الأكوان ورحلوا، وتبختروا في رياض العلوم ورفلوا فظفروا.

[*] الشبح في اللغة صورة جسد الإنسان، ويقال شبح فلان أي: إذا بدا لك شخص غير جليّ من بعيد (معجم الوسيط)، وليس كما معلوم أن الشبح هو الخيال إذ أنه اصطلاح حادث، ولذلك أنّ أهل التصوف تجدهم ينعتون الذي لم تتعلق روحه بمحبة الله فيقولون: أشباح بلا أرواح.

بما أملوا واستغنوا بعدها إن ملّوا، وإن رجعوا من الطريق أو قصروا فقد خابوا وخسروا.»[1]

لعلّنا نورد الملاحظة نفسها التي سبق وأن أبديناها لابن عجيبة، حيث أنه وهو يطبّق منهج الدراسة الشارحة التي تدعو إلى دفع انغلاق الفهم، الذي سعى إليه جراء محنته التي واجهها إثر الاضطهاد الناتج عن رفض الفكر الصوفي الباطنيّ وتكريس الفكر الظاهر[2]، لكنه وهو يحاول دفع هذا الاضطهاد بضرورة الدّفاع عن النصّ الصوفي بتبيان معالمه للعامة والخاصة، فإنه قد أحدث تناقضا بين مراده ونتاجه، إذ أنه أنتج شرحا للحكم العطائية اعتقادا منه أنه يرفع عنها انغلاق الاستيعاب، لكننا نجده لم ينزل بها إلى المستوى المدرك عند العامّة، والذين وجّه لهم شرح الحكم خِلْوا من لغة مجتمعية يسيرة الفهم غير معهودة، ناقلا إياهم إلى شرح إشاري ترميزي، لا دليل لنا في أسبابه غير أننا نؤكد أن: لغة شرحه للحكم العطائية تحيلنا إلى الخطاب الحِكَمي ذاته دون أن تحقق فعل الإفهام الذي تحدث عنه، والشاهد في ذلك هو دعوتكم لإعادة قراءة شرحه الحكمة التي أوردناها، لتيضح حكمنا الذي نؤكد عليه في ختام خلاصتنا هذه، وهو أن حكم السكندريّ للعارفين المدركين للوعي الصّوفي والبعد الروحي، فمتى ما أُخْرجت من روح المعنى الباطن إلى قالب المبنى الظاهر، تلاشت عرفانيتها بفعل القراءة المجردة.

ج. خطاب الشرح عند البوطي:

شرح الإمام البوطي لهذه الحكمة بقوله: « الواصلون الذين عرفوا الله، دون احتياج منهم إلى دليل من مخلوقاته يبصرهم به ويعرّفهم عليه، ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو

[1] أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص 107 و 108.

[2] ينظر: مستويات الوعي الصوفي عند ابن عجيبة العارف الشارح، منشورات تطوان أسمير، المغرب، ص 144.

سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾[1] شكراً لله تعالى وعرفاناً منهم بمدى تفضله عليهم، والإنفاق المأمور به هنا يتمثل في الشكر الذي يترجمه القيام الدائم بكامل حقوق الله، ومن أبرز هذه الحقوق

وأهمها الدعوة إلى الله والعمل الدائب على غرس محبة الله في القلوب. وصدق الله القائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2]

وأما السّائرون إليه، وهم الذين يسعون إلى إزالة ما تكاثف عليهم من غبار الأهواء ومشاغل الدنيا وحظوظ النفس، ذلك الغبار الذي أبعدهم عن الله وأحوجهم إلى قطع مسافات واجتياز عقبات للسير إليه، وأنهضهم إلى تجميع الأدلة الكونية عليه، فينطبق عليهم قول الله عزوجل: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللَّهُ﴾

وهذا الإنفاق يترجمه أيضاً شُكر الله عز وجل على التوفيق الذي متعهم به لمجاهدة أنفسهم ونفض غبار الدنيا ومشاغلها عن كواهلهم، والسعي جهد الاستطاعة إلى حرق المسافات الوهمية بينهم وبين الله تعالى، بالوقوف على الآيات الكونية التي تنطق بوجوده وتشهد على وجدانيته، وتتحدث عن باهر صفاته وآلائه ومهما اختلف هذان الفريقان في أول الطريق، فإنهما يلتقيان عند نعيم معرفة الله، وإن كان أحدهما متأخراً في الوصول عن الآخر، كما يلتقيان في الخطاب المتجه إليهما معاً من الله تعالى والآمر لهما بالإنفاق أي الآمر لهما بالشكر على النعمة الغالية التي أسداها الله عز وجل إليهما، نعمة تعريفهما على ذاته وتبصيرهما بربوبيته وعظيم سلطانه. وهل في نعم الدنيا كلها نعمة أجلّ وأبقى، من أن يكرمك الله بمعرفة ذاته، ومن أن يذيقك لذة القرب منه والتحبب إليه؟»[3]

[1] سورة الطلاق الآية 7.

[2] سورة فصّلت الآية 33.

[3] محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل ج2، ص 31 و 32.

لما انتقل خطاب شرح الحكم عند البوطي من المشافهة (دروس الشرح) إلى الكتابة[*]، ولما صرّح البوطي بتجرده من التعبير الصوفي، كان لزاما أن يظهر خطاب الشرح المكتوب لديه على هذه النمطية التي تقدّم التصريح على الترميز ، المنتج لنصّ وظيفي ذا لغة عامة تؤدي وفق نظره ـ مقصد التربية التي سعى إليها ابن عطاء الله،[1] ليتحول النص بعد ذلك إلى خطاب عام ينزل به درجة الفهم الجماعي القائم على تعبير يهتم بالمبنى ويهمل عرفانية المعنى الذي نراها تثبت خصوصية هذه الحكم، بوجوب قراءتها من الداخل واستحضار القارئ الضمني الذي قصده ابن عطاء الله، ألا وهو العارف المدرك للمعنى الضمني والذي يسعى إلى ملئ الفراغ الموجود في النص من داخله، دون قتل روح المعنى الباطني.

تقويم عام:

إنّما قدمنا له لم يتطرق أبدا إلى نقد الشروح السابقة، بقدر ما أردنا إرساء معالم الموازنة بين شرح الشّيخ محمد خلادي والشّروح السابقة من خلال الوقوف على جانب المبنى منها والذي وافق مرادهم القائم على الشّرح والتّحليل، لكنه لم يفكك النص وأبقى على ترسباته التي جعلت منه نصا عرفانيا يتطلب قارئا ضمنيا له دون أن يحمله على إخراج النصّ عن المراد الذي أُريد له، وهذا الذي سعى إليه صاحب **بوارق الأنوار القدسية من شرح الحكم العطائية** وهو يشرحُ حكم ابن عطاء الله شرحا يُعدّ ضمن القراءات التي لا تحتكر المعنى ولا تحجبه، وإنما تقرأ النص من زاوية الجمال العرفاني التي تشطح على مستوى اللّغة فتولّد إمكانا لا يتاح إلا للذين يتعالون على اللغة فتنصاع لهم، وهذا ما سنبين معالمه في المبحث القادم الذي يعد دراسة تطبيقية تكميلية للموازنة التي أقمناها.

---

[*] قال الشارح في مقدمة الجزء الأول من الشرح: وبعد فقد شرفني الله عز وجل على عجزي وتقصيري، وعدم أهليتي بقراءة حكم بن عطاء الله رحمه الله تعالى، والتعليق عليها بما فتح الله به عليّ، خلال سلسلة الدروس التي بدأت إلقائها خلال سنة 1974 في مسجد السنجقدار بدمشق، ثم في مسجد تنكز، ثم في مسجد الإيمان في البلدة ذاتها، ومنذ ذلك العهد والنّاس الذين سمعوا بتعليقاتي هذه، أو استمعوا إلى بعض من تسجيلاتها، يقترحون ويلحون عليّ أن أفرغ حصيلتها في كتاب.

[1] ينظر نادية خميس: الحكم العطائية قراءة في الشروح وآليات التأويل ص 172.

3. المبحث الثالث: موقع الشيخ محمد خلادي من شروح الحكم العطائية.

سنحاول إثبات نعت الشيخ شرحه ب (شرح الحكم بالحكم) مستندين على نفس الحكم الثّلاث التي تعرضنا لها سلفا وأوردنا لها أهم الشروح التي طالتها، وذلك لتحقيق الموازنة التي أردناها، وبيان تميّز **بوارق الأنوار القدسية من شرح الحكم العطائية** عن سائر الشروح.

ثانيا: منهج محمد خلادي في شرح الحكم

1. قال الإمام ابن عطاء الله: **{ من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.}**

أ. خطاب الشرح (بين عبور الرؤيا وعرفانية العبارة):

جاء في تعليق الشيخ **محمد خلادي** على الحكمة السّابقة الذكر: « نقول إن شاء الله: لما كانت حبائل العزم منه سابغات بالجود وآثار فضل ربّك ما لاح في الوجود، كان ظهور صور الأعمال على حسب الاستعداد وقوة الكمال في بلوغ مقاصدهم وتنوع مرادهم في نيل رضاء المعبود، فالأعمال مناظر القلوب لقبلة غيب الغيوب وبما عكست حضرتها من القرب والبعد، من قائم واقف على صفة الأفعال والأعمال، فهي حجابه بما انتهى إليه علمه ومقامه.

فما كل ذاكر بمشاهد،[*] كيف والمعتمد عليه بأوصافه وأفعاله قد أشارت إليه، وآثاره دلت عليه، فمن وقف مع الأعمال داخل إدارة الأفعال، بأن أمدته أسماؤها وأظلته ظلالها، وأحرقته أنوارها فهي له من حيث غايته واعتماده.»[1]

[*] من ثمرات السلوك إلى الله تعالى "المشاهدة" ، ويقصد بها أن يكشف الله تعالى عن عبده السالك ليرى مالا يراه غيره، وهذا من الكرامات التي يوليها الله لأوليائه حيث قال السيوطي: إنها مشارفة العبد ولوج قلبه ملكوت السماء.

[1] محمد خلادي: بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم، ج1، ص 153 و 154.

افتتح الشيخ محمد خلادي رحمة الله عليه شرحه لهذه الحكمة بذكره شرط الوصول إلى مقام الاعتماد على الله في كل الحركات والسكنات، وضرورة تنقية القلب الذي تنعكس أنواره على القالب، الذي يحقق التخلص من مُدخلات النفس وصرفها عما سوى الله، ثم استفاض في شرح الحكمة بذكره شواهد لأهل التصوف، حيث نجده لم يخرج عن عرفانيتها، كما بيّن أسس الثبات بعد بلوغ هذا المقام بقوله: « قال مولانا الحسن الشاذلي: لا تلتفت علما ولا عملا ولا مدحا، وكن بي ولي في ذاك أبدا. نقول بمشيئته تعالى: نظر العارف وعمله مشيئة الفعّال وإرادته، قد تولّى جمعه وفرقانه، فأهل الإرادة في أعمالهم هم الفانون مصداقا لقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1]، وأهل العرفان محققون قوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[2]، والثّبات هنا ما جاد به الاعتماد في وجوب دقّة التصويب لنيل المراد بالجدّ والاجتهاد، وحاصل الاعتماد في بدايته التشوّق في الوصول إلى نهايته... لذا كان الحرص منه رضي الله عنه في إظهار مراتب هذه الوجهة بتصحيح المرآة وبيان طرق عملها ومستلزمات وشروط دقّة رؤيتها بلا ميل أو نقصان، فكان السبيل إليه بخلع كل العلائق والخلوص التام بين يديه والمعبر عنه بالتجريد[(*)]، وهو تحقيق رؤية كسوف الأعمال وجميع الأفعال في القلب، بهجرانها والنظر المجرد الصّحيح لخالقها تماما كما فعل الخليل لمّا طلب المؤثر بالدليل، فتراءت له الحقائق بالتداني بتصحيح العزم والتفاني، وخلوّ الفؤاد من جميع الأماني، فبخلع الأكوان رآه حقيقة تشير إليه الرقائق والمعاني.» [3]

[1] سورة الصافات : الآية 96.

[2] سورة الأنفال: الآية 17.

[(*)] **التجريد** أن يتجرد المرء بظاهره وبباطنه عن الدنيا، ولا يطلب منها عوضا بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى، لا لعلة غيره، ولا لسبب سواه، قال أحدهم: تجرد من الدنيا فإنك إنما * خرجتَ إلى الدنيا وأنت مجرد. وهذا مقام العارفين بالله.

[3] محمد خلادي: بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم،ج1، ص 155.

2. قال الإمام ابن عطاء الله: **{ اجتهادك فيما ضُمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك.}**

ب ـ خطاب الشرح (بين عبور الرؤيا وعرفانية العبارة):

قال الشيخ رحمات الله عليه في شرح هذه الحكمة: « نقول إن شاء الله: أنّ شدة الاجتهاد في الأعمال الظاهرة والباطنة لأجل الاستعداد في طلب ورود شتى أنواع العطايا والمنح والأمداد ليس في شيء مما لا بد منه مناص، كخلوص الإخلاص في الإخلاص، وصفو الصفاء في اليقين مع حسن المراقبة والصدق في الوفاء، ومن أخفى الأعمال وسترها بالحال، أغناه مولاه عن السؤال، ومن عزم في طاعته من غير إخلاص نيته هلك في ساعته إن لم يُنْجينْهُ برحمته، فعين الاجتهاد إدراك المعنى المراد، والسرّ في الأمداد المخفيّ في الأضداد، ومن آوى إلى سفينة الاعتصام في حسن التوكل وصدق الإقدام نال كل المرام، فالعبودية ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار

قال أبو الحسن الشّاذلي(**571 - 656 هـ / 1196 - 1258 م**): (إنهما كرامتان جامعتان محيطتان، كرامة الإيمان لمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الإقتداء والمتابعة، ومجانبة الدعوى والمخادعة)، وهنا نشير بما فاض وجاد علينا من نفيس كلامه نقول:

ما أنارت القلوب المجاهدات وشتى فنون العبادات، لكنه صدق التوجه يفيض أنهار الواردات، والإخلاص في الولاء والتسليم بالقضاء، يُجلي الحقائق بغيث من سماء الفيض بوابل العطاء، مزنُ أنوار التجليات وأسرار الفيوضات. » [1]

أفاضت على الشارح عرفانيته التي اختصرت عليه الطريق دون أن يخرج من النص بإدراج اللغة الشارحة التفسيرية وإنما نلحظه صاغ هذه الحكمة في حكمة، لا تُغلق الفهم بقدر ما تتطلب صقل الأواني لفهم المعاني، التي جعل مرادها في مراد ابن عطاء الله.

[1] المرجع نفسه ص 162 و 163.

كما نلمس هذا التطريب الناتج عن الجمال اللغوي الحادث عن المعنى الباطني والذي يعكس الحالة النفسية للشيخ وهو يشرح هذه الحكم التي اختصر فيها اللفظ وأخرج من كل حرف منها ألف معنى يتمثل في عبارة أو عبارتين، كما نجده وإن أتى على ذكر شاهد أو شاهدين من أقوال العلماء إلا أنه أبقى على المعنى الضمني للنص الحكمي.

3. قال الإمام ابن عطاء الله: **{ ﴿لِيُنْفِقْ ذو سَعة من سَعته﴾[1]: الواصلون إليه، ومن قدرعليه رزقه: السّائرون إليه.}** [2]

ج ـ خطاب الشرح (بين عبور الرؤيا وعرفانية العبارة):

سنزيد يقينا ونحن نقرأ شرح هذه الحكمة بنجاح الشّيخ في تسمية مؤلفه (شرح الحكم بالحكم) حيث قال في شأن هذه الحكمة: « ذو السعة: صاحب الآنية [(*)] كلما اتّسعت، وسعت بحور المعاني وأنهار الحقائق من حضرة المدد والقرب والتداني، وذو السعة هنا القلب محلّ التجليات والمشاهدات.

الواصلون جمع واصل كما قيل: من غاب عن وجوده واتصل بشهوده، كان برزخا بين الوُجُودَيْن بحرا جامعا للمرتبتين، فالواصلون لم يقفوا عند سطوع الأنوار ونزول الأسرار، بل ولجوا فيها إلى حضرة الملك القهّار ، والسائرون وقفوا عند حدها، والكل ميسر لما اقتضته إرادة ومشيئة الأقدار.

الواصل حبل وكنز ممدود من خزان الكرم والجود، من تعلق به وصل ومن وصل اتصل. فالوصال الفناء في النعوت والأوصاف، بما يغرق القلب في بحر المشاهدات والألطاف، وهذا بالاستغراق في المشاهدة عظم الذات فتنعكس عنده حقائق الصفات كشفا تسري فيه أسرارها وأنوارها، فيطوي عنه ظلمة الأكوان، وتنجلي فيه لديه الحقائق بالعيان....

---

[1] سورة الطلاق: الآية 7.

[2] ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، تقديم عبد الحميد حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص 9.

[(*)] قال عليه الصلاة والسلام: إن لله أواني في أرضه وهي القلوب وأحب القلوب إلى الله أصفاها وأصلبها وأرقها.

أمّا السّائرون إليه أو السّالكون، فهم المقتفون آثار الواصلين، وهم أصحاب التقى في المقامات والدنو بقطع المسافات والدرجات، فهم بأنوار وأسرار الأكوان واقفون وبربها يشاهدون وممتنعون، والكل ميَسَّر لما سُطر في الأزل.» [1]

إنّها هذه اللغة التي آثرت الوقوف عند قالب المبنى وتخطته إلى ما وراء المعنى الضمني الذي أراده ابن عطاء، تُجلي لنا قدرة الشيخ على إحداث خروقات تجعل القارئ لا ينسلخ من الحكمة بل يغوص في اللّطائف التي كانت محطّ اهتمام الشارح.

تقويم عام:

إنّ القارئ لشرح الشيخ **محمد خلادي** الذي خصّه للحكم العطائية، لا يجد أبدا الفرق بين الشرح ومتن الحكم، وكأن الشرح هو امتداد لهذا الأخير، وهذا ما يثبته في مقدمة كتابه بقوله: « وما يميّز هذا الشّرح الذي بين أيدينا أنه شرح خاصّ، أي شرح الحكمة بالحكمة، وهو شرح فريد من نوعه لم يسبق إليه أحد على حدّ علمنا.» [2] حيث استطاع صاحب البوارق أن يتملص من إطار الشرح السابق لتشبعه باللغة العرفانية التي استقاها من الحكم ذاتها التي رأى أنها نص خاص الفهم، لا يتعرض لنفحاته إلا من أوتي فتحا يُمَكِّنه من تمرير الفكرة الروحانية التي إذا عُرفت(من العرفان) أُحْكمت، وإذا أُحْكمت حَكَّمت وأصبح من اليسير فقهها، حيث نجد الشيخ يثبت ذلك حين نعت الحكم العطائية بقوله : « ومن اسمها يستدل على معانيها، فهي إنما عطاءُ فضل ومنٍّ في استجلاء أحكامها وأسرارها ومعانيها.» [3]

وكأنّ بباطن الشّيخ شاعر يتمرد على الأعراف والأجناس، لم يقلها تصريحا لكنه قالها إبداعا وتلميحا، من خلال شرحه وكتاباته في أدق اللطائف، وأخطر اللّحظات التي تتمرد فيها اللغة

[1] خلادي: بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم،ج1، ص 252.

[2] المرجع نفسه ص 11

[3] نفسه الصفحة نفسها.

على المبدع، واللغة العرفانية من حيث هي لغة الرقائق، متى ما استدرجت القارئ وسقط في مطباتها ومعاييرها وقواعدها، عندئذ يتحول إلى متلقٍّ عرفاني يقرأ داخل النص، وبذلك يجعلنا الشيخ نعي أن اللّغة الحكمية تفرض على الذائق وجوب القراءة القلبية لأن من قرأ القلب بالعقل ما عَرَفَ.

لقد أثبت الشيخ أن الحكم حظ الخواص من الفهم [1] كما أثبت من خلال الانزياح اللغوي الذي أحدثه شرحه أنه حقق درجة التخطي، أي تخطي الشروح السابقة، وهذا يعدّ ملمحا من ملامح التحديث القرائي للحكم العطائية، الذي يجعل البعض يقبل بعدما نفر من البساطة اللغوية بدعوى وضوح المعنى ظاهرا والعزوف عنه دون استيعاب فكرته وعرفانها ومن ثم التحلّي بها،[2] وهذا ما يجعلنا نقف على أهم خاصيتين لخطاب الشرح لدى الشيخ محمد خلادي كما يلي:

1. عملية نقل خطاب الشرح السابق للحكم القائم على التجريد بقراءة النص من خارجه، إلى شرح أساسه الحفر في ترسبات النص لاستجلاء باطنه.

2. شرح الحكم بالحكم هو إثبات على أن الشيخ تملَّك ناصية اللغة الباطنة التي سهلت عليه طيّ المعاني والأفكار التي يريد إيصالها للقارئ الذائق في ألفاظ عرفانية غزيرة المعاني.

وهذا ما يجعلنا نثبت هذه العلاقة التي ربطت خطاب الشيخ بالحكم وجعلته يلد متن ابن عطاء الله من جديد ففي ذلك «تأكيد على الدلالة السامية للخطاب، على اعتبار أن فصل الخطاب لا يتم على الوجه الأفضل إلا إذا اقترن بالحكمة وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمها.» [3]

[1] ينظر التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، محمد بن بريكة، ص 114.

[2] ينظر حبيب مونسي، الغموض الفني والتجريد، التصوير الفني في القرآن لسيد قطب أنموذجا، مجلة أوشام،ص 90.

[3] عصام البشير: سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة دراسات إسلامية، مركز البصيرة للبحوث ع 4 2008، ص 10.

الخـــــــاتمة

جاء هذا البحث ـ في مجمله ـ محاولة منا للوقوف على آثار السابقين ممن اهتموا بشرح متن الحكم العطائية، متبعين في ذلك أحد الأساليب التي تعيننا على بلوغ مراد هذه الدراسة التي تقضي بتبّين موقع شرح الشيخ محمد خلادي للحكم من أهم الشروح السابقة عليه بغية الكشف عما ضمّنه (شرح الحكم بالحكم) ، دعوة منه إلى إثبات ضرورة قراءة نص الحكم قراءة نموذجية، ومما استطاع البحث أن يخرج به إثباتا لهذه الدعوة، مجموعة من النتائج نجملها فيما يأتي:

1ـ ظلت الحكم العطائية،على كثرة شروحها، قيد الخطابات الشارحة التفسيرية التي تعددت وفق تعدد الاتجاهات التي ينتمي إليها كل شارح، إذ نجد شرح زروق الذي قعّد للدراسة التفسيرية التي أخذت متن الحكم على ظاهرها، إلى شرح ابن عجيبة الذي دعا إلى محاربة انغلاق الفهم لكنه جمع بين جانبي العلم بظاهر اللغة والعمل غوصا في باطنها، مما أحدث خيبة المتلقي الذي سعى إلى رفع عدم الفهم عنه، كما كان الحال مع الإمام البوطي الذي جرّد الحكم من بعدها الصوفي لتبقى الحكم دون متلق لم يفهم إلا ظاهرها ولم يحط بمعناها العرفاني.

2-جاءت الشروح السابقة للحكم مركزة على إخراج حكم السكندري من الدائرة العرفانية ليصبح نصّا مفتوحا للعامة، فأتى شرح الشيخ مخالفا، حيث نظمه في قالب عرفاني خالص يدعو إلى قراءة النص من داخله فكانت نتيجته ميلاد حكم جديدة الدَّليل في ذلك وَسْمُ عمله بـ **شرح الحكم بالحكم**، ممّا يجعل القارئ يدرك ضرورة قراءة باطن النص الحِكَمي لبلوغ معانيه.

3ـ إنّ القراءة الشّارحة المجردة تفضي بنا إلى إدراك الفرق الكبير بين الاطلاع على تأويل الخطاب الصوفي وبين ضرورة معايشته، وهذا ما سعى إليه الشيخ محمد خلادي حيث ظلّ ينشد قارئا ضمنيا أو قل نموذجيا لنص الحكم العطائية التي أثبت أنها حظ الخواصّ من الفهم بقوله:" فهي إنما عطاءُ فضل ومنٍّ في استجلاء أحكامها وأسرارها"

وعليه فالشيخ يدعو إلى التحقق بالتجربة الروحية ليسهل عليه قراءة الحكم العطائية التي إنما أوجدت لأجل التزكية والتربية.

4. يتبين من خلال هذه الدعوة أن الشيخ محمد خلادي أثبت ضرورة تجديد الرؤية الشارحة للخطاب الصوفي عامة وخطاب الحكم على وجه الخصوص بوصفه دستور التربية الروحية التي لا يقبل أبدا تجريد ألفاظها من العرفانية ، وهذا ما نجده في نهجه الذي يجمع بين سهولة الفهم ووجوب التحلي.

5. يعدّ شرح الحكم بالحكم رؤية جديدة في قراءة متن ابن عطاء الله، حيث جمعت بين سهولة اللفظ دون إخراجه من باطن النص، وبين جمالية المعنى الذي كان سببه لغة الشارح التي شطحت على مستوى اللغة المجردة، فتخطت الشروح السابقة، وأكدّت أن الشيخ مارس اللعب باللغة شعرا في بنية النثر ، إذ تجد المتلقي يقرأ شعرا لكنه في جنس النثر.

6. حاولنا من خلال البحث إثبات الانفتاح على الحكم العطائية، بكثرة الشروح التي وُجهت إليها، فلم نرد نقد الشروح بقدر ما أردنا إثبات توجه كل واحد من الشارحين استنادا إلى منهجه في الشرح، تمهيدا لبيان تميز شرح الشّيخ محمد خلادي الذي جمع بين فعل التحقيق وشرط التحقق.

تلك هي أهم الاستنتاجات التي رأينا أن تكون ختام عملنا هذا، وهي نتائج تجمع مرادنا من هذا البحث، الذي أثبت ضرورة إعادة مركزية الخطاب الحكمي ، كونه خطابا يعنى بتربية الإنسان بوجه عامّ وخاصة المريد (المتصوف) بوجه خاص، فهو يروم الجمع بين جانب الشريعة ظاهراً من خلال التفقه بأحكام الدين والحقيقة بتزكية الباطن وترقيتها مدراج الصفاء الروحي.

والحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً/الكتب:

***القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)**

2.ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، تقديم عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي،القاهرة، مصر.

3. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مج 1، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد.

5.ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج 8، تح عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

6.ابن عبّاد الرُندي: غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائيّة،مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصرط 1988،1.

7.ابن قيم الجوزية :

*التفسير القيّم، تحقيق محمد حامد الفقيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان.

* عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

8.ابن منظور : لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، بيروت.

9. أبو الوفا الغنيمي: ابن عطاء الله وتصوفه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

10.أحمد أمين :

* فيض الخاطر، ج 8، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، مصر.

* ظهر الإسلام، المجلد الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1969.

11. أحمد بن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تق أحمد محمد حسب الله، دار المعارف،

12.أحمد زروق الفاسي:

* شرح الحكم العطائية، تحقيق عبد الحليم محمود، مطابع دار الشعب، القاهرة، مصر. القاهرة، مصر.

*قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري، تحقيق محمود بن الشريف، دار التراث العربي، بيروت لبنان.

13.أدونيس: قصائد أولى، دار الآداب،بيروت، لبنان.ط1988

14. إسماعيل باشا البغدادي: هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

15. البستي، أبو الفتح: ديوان أبي الفتح البستي، تح سرية الخطيب و لطفي الصقال، مطبعة مجمع اللغة العربية،دمشق، سوريا.1989

16. مسلم: صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

17. الجاحظ، أبو عثمان ،البيان والتبيين،تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر. ط7 1998

18.حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج 2، تع محمّد شرف الدين و رفعت الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

19. الحسن بن محمد النيسابورى : عقلاء المجانين، ترجمة ميمونة، دار النفائس،بيروت، لبنان. ط1 1987.

20. الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، دار الكتب العلمية 1971، بيروت، لبنان.

21. درويش الجويدي : ديوان ابن الفارض، دار الكتب العلمية،1971 بيروت، لبنان.

22. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان.

23. الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، ج 3، الدّار التونسية للنشر، تونس.

24.عبد الرحمان بدوي : شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصرط2 1962.

25. عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.

26. عبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية، تعليق عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

27. علي جميل مهنا : الأدب في ظل الخلافة العباسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1981.

28. علي الخطيب: اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، دار المعارف، القاهرة، مصرط1 ، 1984.

29. لويس المعلوم: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط442011.

30. لويس ماسينيون: ديوان الحلاج، دار سمرقند للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، سوريا.

31. محمد بن عمارة: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر،شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغربط1، 2001.

32. محمد بن بريكة: التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط1 2006.

33. محمد خلادي: بوارق الأنوار القدسية من شوارق الحكم العطائية في شرح الحكم بالحكم،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ط 1، 2019 .

34. محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية شرح وتحليل، ج 1، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا.

35. مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة القاهرة، مصر، ط4،2004.

36. محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، سوريا ط 1 2002.

37. محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن،جزء5 ، تح محمود شاكر ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

38. محمود حسن إسماعيل: ديوان قاب قوسين، دار العروبة، القاهرة، مصر ط1 1964.

39. محمد عبد المنعم خفاجي : الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر.

40. محمد مشبال: في بلاغة الحجاج،دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن.

41. وضحى يونس: القضايا النقدية في النثر الصوفي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا.

ثانيا/ قائمة المجلات:

42. حبيب مونسي: الغموض الفني والتجريد، التصوير الفني في القرآن لسيد قطب أنموذجا، مجلة أوشام.

43. عبد المجيد الصغير: مستويات الوعي الصوفي عند ابن عجيبة العارف الشارح، منشورات تطوان أسمير، المغرب

44. عصام البشير: سمات الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة دراسات إسلامية، مركز البصيرة للبحوث ع 4 2008.

ثالثا/ قائمة مذكرات التخرج:

45. نادية خميس: الحكم العطائية قراءة في الشروح وآليات التأويل، أطروحة دكتوراه، باتنة، 2015.

46. توفيق أوسهلة : طرق التفسير في المعجم الوسيط، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، ج أبي بكر قايد، تلمسان، 2013- 2014.

47. فتيحة غزالي: تجليات الصوفية في الرواية العربية المعاصرة لسلام أحمد إدريسو، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، ج محمد خيضر، بسكرة، 2017-2018.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ-ج

-المدخل: الأدب الصوفي (النشأة والأغراض)..... 02-11

***الفصل الأول:** الحكم العطائية (المفهوم والشروح)

-المبحث الأول: بين يَدَيْ الشرح والحكمة..... 13- 17

-المبحث الثاني: ترجمة صاحب الحكم..... 17- 19

-المبحث الثالث: الحكم العطائية وأهمّ شروحها..... 19- 25

***الفصل الثاني:** الشيخ محمد خلادي (حياته، آثاره وموقع شرح الحكم من أهم الشروح)

-المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمّد خلادي..... 27- 30

-المبحث الثاني: شرح الشيخ محمد خلادي وموقعه من شروح الحكم..... 30- 48

*شروح الحكم و(قراءة القلب بالعقل).

*خطاب الشرح (انفتاح الرؤيا وضيق العبارة).

* تقويم عام.

-المبحث الثالث: موقع الشيخ محمد خلادي من شروح الحكم العطائية..... 49- 54

* منهج محمد خلادي في شرح الحكم (قراءة القلب بالقلب)

* خطاب الشرح(عبور الرؤيا وعرفانية العبارة)

*تقويم عام.

.الخاتمة:..... 56ـ 57

.قائمة المصادروالمراجع:..... 59ـ 63

.فهرس الموضوعات:..... 65ـ 66

ملخص:

يبتغي هذا البحث تسليط الضوء على شرح الشيخ **محمد خلادي** للحكم العطائية باعتباره واحدا من أهمّ الشروح ، الذي أراد منه وضع حكم موازية من خلال شرح عرفاني يقرأ حكم **ابن عطاء الله** من الداخل دون تجريده من المقصد الروحاني، ولذلك جاءت هذه الدراسة للكشف عن مواطن الجمال في هذا الشرح، إذ تمّ التطرّق إلى جانب مهمّ وهو عقد موازنة بين شرح الشيخ محمّد خلادي المسمّى **بوارق الأنوار القدسية من شرح الحكم العطائية . في شرح الحكم بالحكم .** وبين أهمّ الشروح التي عرفتها حكم السكندريّ، وذلك للوصول إلى الهدف من هذه الدراسة والمتمثّل في بيان مدى تميّز شرح الشيخ عن سالف الشروح.

Abstract:

This research aims to shed light on Sheikh **Mohammed Khalladi** explanation of the **al-Hakam al-Ata'iyya** as one of the most important explanations, who wanted him to put a parallel rule through an irfani explanation that reads the rule of **Ibn Ata Allah** from the inside without stripping it of the spiritual purpose, and therefore this study came to reveal the places of beauty in This explanation, as it touched upon an important aspect, which is a balance contract between the explanation of Sheikh Mohammed Khalladi called **"Bawariq al-Anwar al-Quds from the explanation of al-Hakam al-Atiyya - in the explanation of al-Hakam by al-Hakam –"** and the most important explanations known to al-Askandari's rule, in order to reach the goal of this study, which is to explain the extent The Sheikh's explanation was distinguished from the previous explanations.